كيف عرفتُ عبد الناصِر

وَعشتُ أيّام حُكمِه

بقلم

أحمد حسين

زعيم حزب مصر الفتاة

دار الأحرار

مقـدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

منذ أن غيّب الثرى الراحل جمال عبد الناصر تدفق على دور النشر في العالم العربي عامة، ومصر خاصة سيل من المذكرات والمقالات كتبها أناس ممن أحبوا الرجل حباً جماً، أو عارضوه معارضة جمة . . . بعض هذه المذكرات والأبحاث والمقالات يصلح لأن يكون مادة أولية لتدوين تاريخ الفترة التي حكم فيها جمال عبد الناصر مصر — ١٨ — عاماً، وبعضها الآخر تبرير لما وقع في هذه الفترة وتأويل وتعليل . ومن هذا الفيض المختلف قيمة واصالة . تبرز مذكرات الاستاذ أحمد حسين زعيم حزب مصر الفتاة، والمناضل الذي سبق قيام الثورة المصرية، ثم جاءت الثورة فكرسته مناضلاً ومجاهداً بمرسوم جمهوري . وتُقرأ مذكرات أحمد حسين لعدة أسباب :

أولاً، لشخصية صاحبها الفريدة، والتي ينسب إليها الأصالة في كل شيء، في العمل الوطني، وفي النظرة إلى الأشياء، وفي القدرة على البقاء في صفوف الناس رغم

المغريات التي كانت تقدم إليها ، والتي أحيطت على مدى نصف قرن بالمواقف العاصفة ، والحوادث الغريبة و . . . الأساطير .

ثانياً ، لأن صاحب المذكرات شهد في فترات حاسمة من التاريخ المعاصر كبرى الأحداث التي عصفت بالمنطقة ، والتي مهدت لقيام الثورة المصرية ، وكان في طليعة الممهدين ، باعتراف الراحل جمال عبد الناصر نفسه كما سنقرأ في هذه المذكرات .

وتُقرأ المذكرات ، ثالثاً ، لأن أحمد حسين يمثل مصر العربية كما لا يمثلها إلا عدد قليل من المجاهدين في الكنانة ... فهو يتكلم باسم مصر العربية عن قناعة وإيمان ويربط مصيرها بمصير الوطن العربي ، وهنا يلتقي المناضل مع مفكري المرحلة في ضرورة توحيد العالم العربي لانقاذ هذا الوطن من أمراضه وتعثره .

وأخيراً ، تقرأ هذه المذكرات الفريدة في صدقها لأن صاحبها جابه مشاكل ومواقف كان عليه أن يتخذ تجاهها موقفاً حاسماً ، وكان يتخذ هذا الموقف باستمرار بالبقاء في صفوف الناس العاديين .

الناشر

الإهداء

إلى الأجيال المقبلة

الآن وقد انقضى الأربعون على وفاة عبد الناصر أمسك بالقلم لأكتب للذكرى والتاريخ عن هذه الشخصية التي ستفترق عليها الآراء إلى أبد الآبدين . فمن الناس من سوف يقدسه بل يؤلهه ، ومن الناس من سوف يرفضه ، والرجل لا يستحق التقديس ولا الرفض فقد عاش حياته وأدى دوره في حياة مصر كحاكم مطلق وهو ليس أول حاكم مطلق في تاريخ مصر ولن يكون آخرهم فالشعب المصري أسلس الشعوب انقياداً للحاكم وهو يغري دائماً حكامه بل ويدفعهم إلى الانفراد بالحكم فيحولهم إلى طغاة مستبدين ، فحكام مصر مجني عليهم في الواقع فمهما كانت نواياهم حسنة ، ومهما بدأوا بداية طيبة فإذا امتد بهم الأجل واستمروا طويلا في الحكم فلا يلبث أن يدفعهم باستكانته ولينه وقبل ذلك كله بنفاقه ، إلى أن يكونوا طغاة مستبدين ،

ويبقى الفارق الوحيد بين مستبد وآخر ، هل كان مستبداً خيراً أو مستبداً شريراً . . . والشهادة لله أن عبد الناصر انتهى به الحال إلى أن أصبح مستبداً خيراً .

وقد شعرت أن واجبي يحتم علي أن أكتب للتاريخ فقليلون هم الذين عاشوا في عصر الرجل ويستطيعون أن يكتبوا عنه في حياد ، وأن يحسنوا تقييم أعماله .

إن رجاله يحاولون الآن أن يضخموا في شخصيته ليحكموا في ظل هذه الشخصية وهو ما استطاعوا حتى الآن أن يحققوه بنجاح على الرغم من مرور أكثر من أربعين يوماً على وفاته .

ولقد علقت على أعمال عبد الناصر وعلى خطبه في حينها في مذكراتي ، ولكن ذلك لا يغني عن كتابة هذا الكتاب ، بعد أن طوى سجل هذه الحياة الصاخبة ، وأصبح من الممكن الحكم على أعماله ككل ، بغض النظر عن التهليل والتصفيق الذي صاحب كل أعماله طوال حياته والذي لا يزال مستمراً حتى الآن بعد مماته .

احمد حسين

القسم الأول

الفصل الأول

كيف سمعت لأول مرة عن عبد الناصر

كنت أسيراً في سجن مصر لأنفذ ثلاثة أحكام صدرت علي بالسجن ستة أشهر في كل حكم، أي أن مجموعها كان سنة ونصف بتهمة العيب بالذات، ولكن ذلك لم يكن المهم، وانما المهم اني كنت في صراع لأنقذ نفسي من حبل المشنقة، فقد كانوا يحاكمونني بتهمة التحريض على حرق مدينة القاهرة، وكانت المؤشرات تدل على أن الحكم سيكون بالاعدام، وكنت أحاول ما استطعت أن أعرقل سير المحكمة بالاضراب عن الطعام، وكانت هذه الخطة قد نجحت جزئياً في استبعاد القاضي الذي كان متواطئاً على الحكم باعدامي، وهو حسين طنطاوي، فقد أحيل إلى المعاش رغم أنف فاروق تحت وطأة غضب القضاة من المناورات المكشوفة التي اتبعت يومئذ لاستمرار حسين

طنطاوي في القضاء رغم بلوغه السن القانونية للإحالة على المعاش .

كانت هناك أزمة في الجيش حول انتخـاب مجلس إدارة نادي الضباط ، حيث رشح الضباط الذين وصفوا فيما بعد بالأحرار ، وقد رشحوا لرئاسة النادي اللواء محمد نجيب ، بينما رشح فاروق للرئاسة من يسمى حسين سري عامر ، وسقط مرشح الملك ، وفاز محمـد نجيب ، وكانت هذه صفعة علنية لفاروق الذي بادر فأغلق النادي وأصدر أمره بحل مجلس الادارة ولكنه لم يجرؤ على أن يمس شعرة من أي ضابط ممن تحدوه بهذا الأسلوب .

وكانت أصداء هذه الحوادث تصل إلي في سجني فتدخل بعض الراحة إلى نفسي ، ولكن لم أتصور بحال من الأحوال أن هذه بدء النهاية لفاروق ، وأن نجاتي من الموت باتت وشيكة . ولذلك فقد كنت مضرباً عن الطعام ، وقد فصلت ذلك كله في مذكراتي عن هذه الفترة والتي نشرت في كتاب تحت عنوان في ظلال المشنقـة .

وأوقظت ذات صباح ليقول لي حارس السجن أن الجيش يحاصر سراي عابدين ، وأن اللواء محمد نجيب الذي اختاره الضباط لمجلس إدارة النادي ضد رغبة الملك يذيع

بياناً باسم الجيش يتحدث فيه عن الفساد والفوضى التي تسود البلاد وأعلن أن الجيش سيبدأ بتطهير صفوفه ، وكانت هذه الحركة تشبه أن تكون تمرداً ، ولكن جموع الشعب وقفت إلى جوارها وأيدتها بحرارة فازداد القائمون بالحركة ثقة بأنفسهم وزاد رسوخ حركتهم .

كانت هذه الحركة بمثابة حبل النجاة لي بدلاً من حبل المشنقة . ودخل الجيش في مفاوضات مع فاروق ، فطلب الجيش اسقاط الوزارة التي لم يكن مضى على تشكيلها أكثر من — ٢٤ — ساعة ، وكان من سخرية الأقدار أن تعرض الصحف الصادرة صباح هذا اليوم بصور الوزراء الجدد بعد أن حلفوا اليمين أمام الملك وهم أكثر ما يكونون انتفاخاً وصولة وهم يدلون بالأحاديث عن المستقبل وتلهج ألسنتهم بالدعاء لجلالة الملك فاروق ، لما أولاهم من ثقة وزودهم بارشاداته ونصائحه الغالية التي يعتزون بها أعظم اعتزاز .

وبادر نجيب الهلالي رئيس الوزراء الجديد بتقديم استقالته فلم يبق أمام فاروق إلاّ أن يقبل رئيس الوزارة الذي فرضه عليه الجيش وهو علي ماهر باشا .

وقد طالب الجيش بما كنت أطالب به ، وهو استبعاد

رجال الحاشية الأوغاد من حول جلالة الملك ، وقد استجاب الملك لكل هذه الطلبات ظناً منه أن الأمر سيقف عند هذا الحد .

المهم أنني خلال هذا الانقلاب لم أسمع كما لم يسمع غيري إلا اسم اللواء محمد نجيب باعتباره زعيماً للجيش ، وقد بادر الملك فعينه رئيس أركان الجيش، فأضفى عليه الصفة الشرعية .

وهكذا تقدم الجيش خطوة أخرى بعد أن نقل قواته إلى الاسكندرية وطالب بتنازل فاروق عن العرش لابنه الطفل أحمد فؤاد الثاني . فاستجاب فاروق لمطلب الجيش بعد أن تخلى عنه الانجليز والامريكان ، فلم يبق أمامه إلا أن يرحل .. !

وفي هذه الأيام الثلاثة بين ـ ٢٣ يوليو بدء قيام الحركة و ٢٦ يوليو يوم تنازل الملك فاروق عن عرشه ومغادرة البلاد بدأنا نسمع عما يسمى مجلس قيادة الثورة والضباط الأحرار الذين لم نكن نعرف أسماؤهم ، ولكن اسم محمد أنور السادات (١) ، بدأ يتردد ، فقد كان هو الضابط الذي

١ ـ علمنا فيما بعد ان محمد انور السادات هو الضابط الذي اذاع بيان الجيش .

قابل علي ماهر وقدم له باسم الجيش الطلب الجديد وهو ضرورة تنازل فاروق عن العرش ومغادرة البلاد وقد فعل .

كان من الطبيعي جداً والذي بات يتوقعه كل انسان أن يفرج عني على الفور ، فقد كنت على رأس مصر الفتاة التي تولت بكل امكانياتها التمهيد لهذه الثورة بخلق المناخ الذي يسمح بقيامها وتعبئة الشعب ضد الملك .

ولكن الذي حدث كان عكس ذلك تماماً ، فقد أفرج عن جميع السجناء السياسيين والمعتقلين إلاّ أنا [1] . وكان أعجب من ذلك أنه تم الاتفاق على الاستمرار في محاكمتي على هذه المقالات التي كتبتها ضد الملك السابق ، أندد فيها بالفساد والطغيان الذي غرقت فيه البلاد ، وكان علي ماهر قد أصدر قانوناً بالعفو عن جرائم العيب في الذات الملكية فسطقت الأحكام التي صدرت علي ، ولكن النيابة العامة أسرعت بتصحيح الوضع فحبستني احتياطاً على ذمة التحريض على حرق مدينة القاهرة .

وبعد قليل خجل الحكام الجدد من أنفسهم فنقلوني إلى مستشفى القصر العيني بدلاً من مستشفى السجن الذي كنت

---

١ — علمت فيما بعد من الاستاذ حسين ابو زيد الذي كان وزيراً في الوزارة ان ذلك كان بطلب من الانكليز .

أقيم فيه بسبب إضرابي المتواصل عن الطعام حيث كنت لا أكاد أقطعه حتى أستئنفه من جديد . وفي القصر العيني أعدوا لي غرفة فاخرة لم تكن مخصصة للمرضى وأقاموا حولي ثكنة عسكرية للحراس ، ولكن الظروف كانت قد تغيرت ، وأصبح الجميع ينظرون إلي على ضوء الانقلاب الجديد الذي كنت مع اخواني أكبر ممهد له ، وكان الجميع يبدون دهشتهم لتأخر الأفراج عني ، ولست أريد أن أتعرض لأسباب هذا التأخير خاصة وأن وزارة علي ماهر كانت قد استقالت وتألفت وزارة محمد نجيب وكان من بين وزرائها زملاء جهاد وأصدقاء لي . والمهم أن إخواني كان قد أفرج عنهم في ذلك الوقت وكرسوا كل جهدهم للافراج عني .

في ذلك الوقت طرق سمعي لأول مرة اسم جمال عبد الناصر وانه يخبر كل من يقابله من زملائي انه كان في حزب مصر الفتاة ، ولكن ذلك لم يثر اهتمام أي منهم ، وذلك يصور أنه بعد شهر كامل من قيام الثورة لم يعرف أحد من هو جمال عبد الناصر ، ودوره الرئيسي في الحركة ، فقد كانت مصر كلها لا تعرف سوى محمد نجيب ومحمد أنور السادات ،وكذلك الجيش نفسه. ورضي جمال عبدالناصر أن

يبقى في الظل . ولعل أطرف ما يروى عن هذه الواقعة ، ما حدثني به أخي ابراهيم شكري فيما بعد ، وهو كيف أن أحد أصدقائنا وهو محمـــد رياض (ياور محمد نجيب) عرض على ابراهيم شكري وهو ينتظر مقابلة محمد نجيب أن يعرفه بجمال عبد الناصر باعتباره شخصاً له أهميته ، فاعتذر له ابراهيم شكري بأن ذلك ليس وقت المجاملات ، واضاعة الوقت في التعرف على هذا وذاك . والتفت ابراهيم شكري صوب هذا الضابط الذي أريد تعريفه به ، فوجده يبتسم له ، فهزّ ابراهيم رأسه له ، وقد استرعى نظره وفرة طول الرجل وسمرة وجهه .

هذا هو مكان عبد الناصر بعد شهر من قيام الثورة .

ولكن ابراهيم شكري تعرف به بعد ذلك وسمع منه أنه كان في حزب مصر الفتاة ، وسألني ابراهيم شكري إذا كنت أذكر شيئاً عنه ، فالضابط الوحيد الذي عرفته في هذه الفترة كان هو محمد أنور السادات . إذ كنت قد عدت إلى الاضراب عن الطعام فبعث به إلي محمد نجيب ليهدئني ويحملني على العدول عن الاضراب ، ويعدني بأنه سيفرج عني ، وكان كل الذي فعلوه أن أعادوا تشكيل المحكمة العسكرية . وجاءوا بضباط جدد . ولكني عندما عدلت عن الاضراب ومثلت أمام المحكمة ، رفضت أن تفرج عني

فعدت إلى الاضراب عن الطعام ، وجاءني الضابط محمد انور السادات للمرة الثالثة ، أو الرابعة ، وفي هذه المرة بدأت اعلم نفوذ عبدالناصر وسلطانه ، فقد قال لي محمد انور السادات أن محمد نجيب طلب منه كالعادة أن يحضر لمقابلتي وتهدئتي ، فرأيت هذه المرة أن أحسم الموقف فذهبت إلى جمال عبد الناصر وقلت له أن محمد نجيب كلفني أن أذهب لمقابلة أحمد حسين وأريد أن أعرف هل ستفرج عن أحمد حسين أم لا ؟

فقال جمال عبد الناصر : بل سأفرج عنه .

وعلى هذا قبلت أن آتي إليك .

وفي خلال بضعة أيام أفرجت عني المحكمة العسكرية بالفعل ، وهكذا عرفت أين توجد السلطة الحقيقية . وظل جمال عبد الناصر يداينني بهذا الدين الشخصي من ناحية ، وأن الثورة التي ظهر فيما بعد أنه أعد لها جعلت جهادي لا يضيع هباء .

بعد الافراج عنـــي

كان طبيعياً بعد أن أفرج عني أن أسعى للتعرف بقادة الجيش ، ولكني لم أشأ أن أتعجل الذهاب إليهم فقد كنت عاتباً أن تأخروا في الافراج عني طوال هذه المدة ، وكان عليهم في تقديري أن يكونوا هم الساعين إلي . فمضت فترة جديدة لم التق بهم ، ثم رتبنا مع محمد رياض موعداً لكي نتقابل عنده في البيت تفادياً من أن أذهب إلى مركز القيادة ، وبالفعل تمت المقابلة ورأيت جمال عبد الناصر ولأول مرة مع عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين ، ولست أذكر إلا أنني شكرت جمال على الافراج عني وهنأته على العمل الموفق الذي قام به في الإطاحة بالملك ، وانتهت الجلسة التي استمرت طويلا دون أن يترك جمال عبد الناصر أو أحد زملائه أي أثر خاص بطبيعة الحال ، فقد كنت أنا المتكلم أكثر الوقت ، وكنت أتحدث معهم بحديثي الذي اعتدت أن أتحدث به مع كل من يجتمع بي طوال حياتي العامة .

وكل ما بقي من ذاكرتي من هذا الاجتماع الأول مع عبد الناصر هو أنني قد تسلمت دعوة لحضور مؤتمراً اشتراكياً يعقد في مدينة رانجون عاصمة بورما ، فطلبت من عبد الناصر أن يسهل اجراءات السفر فإذا به يقول لواحد ممن حوله : (ذكرني يا فلان غداً أن أعطي التعليمات اللازمة) .

وفي اليوم الثاني تمت تأشيرة الخروج وسافرت في نفس اليوم إلى الهند في طريقي إلى بورما ، وقد فصلت في كتابي « يقظة العملاق » حديث هذه الرحلة التي أبعدتني عن مسرح الحوادث المصرية في أواخر عام ١٩٥٢ وأوائل عام١٩٥٣ بعدأن أقصاني السجن عن هذا المسرح منذ قامت الثورة في يوليو وكل الذي أتذكره أنني أرسلت من رانجون خطاباً إلى عبد الناصر أشكره وأحييه وأذكر أن أخي الاستاذ فتحي رضوان الذي كان وزيراً في ذلك العهد قال لي أن جمال عبد الناصر أبلغه باعتزاز أنه تلقى مني خطاباً .

مجيء عبد الناصر إلى بيتي

والآن فلأصل إلى مقابلتي الثانية مع عبد الناصر . كنت قد عدت من رانجون بعد حضوري المؤتمر الاشتراكي

وكانت الأحزاب السياسية قد حلت ، وفكرت في أن أضع تجاربي في خدمة الثورة ، فاتصلت بعبد الناصر تلفونياً في مركز قيادة الثورة ، واتفقنا على أن نتقابل في مركز قيادة الثورة في الساعة الخامسة بعد الظهر ، ولكني بعد أن اتفقت على الميعاد شعرت بالأسف والندم ، فأنا لا أحب أن أذهب إليه ، وأن يكون هو الذي يسعى إلي ، ولقد كانت هذه المشاعر التي صاحبتني طوال حياتي من الافراط فيما أعتبره تمسكاً بالكرامة أو الاعتزاز بالنفس أكبر سبب في فشلي في حياتي السياسية ، ولكني لا أشعر بالأسف فقد شاء الله لي أن لا أكون سياسياً ، وإنما معلماً .

أقول أنني شعرت بالندم أن أكون أنا الساعي إليه ، ولم أكن أعرف كيف أتحلل من هذا الموعد ، فاحلني الله منه وجعل جمال عبد الناصر هو الذي يسعى إلي ولست أنا الذي أسعى إليه . ولقد ملأ عبد الناصر الدنيا صراخاً من رجال السياسة الذين سعوا إليه بدون استثناء ، واتهمهم بالنفاق ، ومع ذلك فقد كانوا هم الذين تعاون معهم عبد الناصر ولا أظنه غفر لي أبداً أنني لم أكن واحداً من هؤلاء . وقد كان هذا هو طابع حياة عبد الناصر ، إذا تكلم فهو يقول أحسن كلام يقال ، فإذا تصرف كان تصرفه على خلاف مايقول .

ولأرجع الآن إلى ما كنت في سبيل سرده وهو رغبتي في التحلل من الموعد . ولما اقتربت الساعة من الرابعة والنصف هتفت لمكتب عبد الناصر لأعتذر له فقالوا لي أنه غير موجود ، ففرحت لذلك ، وهتفت مرة أخرى في الساعة الخامسة إلا بضع دقائق فقيل لي أنه غير موجود فقلت لمحدثي أنه كان بيني وبينه ميعاد في الساعة الخامسة وطلبت منه أن يطلبني في التلفون عندما يجيء عبد الناصر ، ولكن التلفون لم يدق ، ومضت الساعة الخامسة والسادسة دون أن يدق ، واعتبرت المسألة منتهية ، وحمدت الله أن الأمور سارت كما أحب .

وفي الساعة العاشرة مساء ، على ما أذكر ، وربما بعد ذلك « فكل الذي أذكره الآن أن الساعة كانت متأخرة » تحادث معي عبد الناصر في التلفون . ورويت له ما حدث وانه قيل لي أنه غير موجود (فتأكد لي أنه كان موجوداً وكان نائماً في القيادة ، ولم يتبينوا ذلك) ، واعتذر لي فقلت له ان أحسن اعتذار أن يحضر لزيارتي في البيت. فقال لي : متى ؟

فقلت له : الآن ، وما هو المانع ؟

فتردد قليلا ، ثم قال : وهو كذلك .

وبعد قليل ، وربما بعد نصف ساعة ، كان باب شقتي يطرق ، وكان الطارق هو جمال عبد الناصر ومعه عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين .

فاصطحبتهم إلى شرفة شقتي المطلة على النيل .

وأذكر أن جمال عبد الناصر أبدى اعجابه من موقع بيتي .

واستمرت الجلسة طويلاً ، وكنت أنا المتحدث ، وكان الثلاثة ينصتون ، ورحت أشرح لهم ما يجب أن يقوموا به من أعمال ولكن ليس يعلق الآن بذاكرتي أحاديث خاصة بهذه الجلسة ، ولا بد أن أكون قد تحدثت عن الاشتراكية ، وعن قانون الاصلاح الزراعي « الأعرج » الذي اصدره ، والذي كان يقضي بأن لا تزيد الملكية عن ثلاثمائة فدان حيث كنا ندعو إلى تحديدها بخمسين فدان فقط .

كل الذي أذكره بوضوح الآن عن هذه المقابلة هو بساطة عبد الناصر وزميليه .

وأذكر أنه كان قد أعلن قبل حضورهم أن اليوم التالي سيكون هو أول رمضان واقترحت عليهم أن يتناولوا شيئاً من طعام السحور ، وإنني وجدت خبزاً جيداً وجبناً ، وأذكر الآن أن أسارير وجه عبد الناصر قد تهللت ورحب بالفكرة ، ولم أكن أعلم ساعتئذ أن الجبن الأبيض هو أحب

المأكولات عند جمال ، إلى أن كشف حسنين هيكل الغطاء عن هذه العادة بعد موت جمال ، وأن صفيحة الجبنة البيضاء كانت تصحبه في كل رحلاته حتى إلى روسيا .

وانصرف جمال وصحبه بعد جلسة طويلة ، وأذكر انني وقفت على رأس السلم أودعهم ورحت أصيح بأعلى صوتي : (إن حله الأحزاب قد مكنني لأول مرة في حياتي أن أشتغل كمحام محترف ، وأن مكتبي بدأ يدر علي لأول مرة في حياتي ما لم أكن أطمع فيه من أموال ، وما زلت أذكر انه نظر إلي وهو في منتصف السلم مندهشاً .)

أول اصطدام مفتوح

أصل الآن إلى المقابلة العاصفة التي تمت بيني وبين جمال عبد الناصر ، أو بالأحرى بيني وبين مجلس قيادة الثورة ممثلاً في جمال عبد الناصر وصلاح سالم المتحدث الرسمي باسم هذه القيادة ، بحضور عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين ، وقد تم هذا الاجتماع الجديد في منزل ابراهيم شكري على مائدة الافطار .

كنا في شهر رمضان السابق على اعلان الجمهورية بأقل من شهر ، أو نحو ذالك ، وقد كان اعلان الجمهورية هو

أحد المسائل التي اختلفت فيها مع عبد الناصر الذي لم يكن يوافق على اعلانها كما سأذكر .

وقد حضر هذا الاجتماع الدكتور محمد حلمي مراد ، وسيكون هذا الحضور هو السبب الذي سيؤدي للافراج عنه من تهمة خطيرة كما سأوضح فيما بعد .

قال لي عبد الناصر وهو يقدم صلاح سالم :

لقد جئت به لزيارتك وليناقشك فيما تقول من آراء وأقوال ، وهو يشير بذلك إلى أنه في المرات السابقة التي تقابلنا فيها كان دوره هو دور الانصات والاستماع . وإني ما زلت أذكر الكثير عن هذه المقابلة العاصفة التي اقتنع بعدها جمال عبد الناصر انه لا يستطيع الانتفاع بي على أي وجه من الوجوه لخشونتي في التعبير ، وحرصي على أن تكون الأمور واضحة ومستقيمة ، ولعل العبارة التي جعلته ينفض يده مني نهائياً أنني قلت له أنه في حاجة إلى مستشار لا يريد منه شيئاً ، ولا يخاف منه ، وانني أنا ذلك الرجل ، فأنا لا أريد منه أي شيء ، ولن أقبل أي شيء كما أنني لا أخاف منه ، وقد كان هذا هو التعبير الذي ذكرته له بعد حين ، وذلك بعد أن سجنوني واعتدوا علي بالضرب . فقد قابلته بعد ذلك كما سيرد في حينه ، وذكرته بهذه العبارة

التي قلتها له في هذه الليلة . ثم أضفت قائلاً :

فأنا الآن لم أعد أصلح حتى أن أكون مستشاراً لك لأنني أصبحت أخاف منك .

ولنرجع إلى وصف الاجتماع وما دار فيه .

كان طعام الافطار تتمثل فيه كل خصائص موائد إبراهيم شكري ، وهو الأناقة والبساطة والدسامة ، وقد استمتع الجميع بالأكل وكانوا صائمين كما فهمنا من مقتضى الحال ، فمنذ البداية أخذت أوجه اللوم على تصرفاتهم ، وكان أهم موضوع دار حوله الاصطدام هو موضوع الاصلاح الزراعي . وبدأت الهجوم بقولي :

لماذا لم تنفذوا مشروع توزيع الأراضي حتى الآن مع أنه هو جوهر أعمال الثورة . إن فاروق وزع من الأراضي قبل خلعه أكثر مما وزعتم حتى الآن .

وهنا التفت جمال نحو صلاح وقال :

رد عليه يا صلاح ، وكان أخوه جمال سالم هو رئيس لجنة توزيع الأراضي فقال صلاح سالم :

إن الأمر ليس بالسهولة التي تتصورها ! .

فقلت له وهذا هو الفارق بين الثوريين الحقيقيين ومن ليسوا بثوريين . فقال ساخراً :

لو كنت انت ففي كم من الزمن كنت توزعها ؟

فأجبته بدون تفكير وفي حدة ظاهرة :

كنت أوزعها في شهر .

فهزّ كتفيه في سخرية فقلت له وقد فهمت الاشارة :

ألا يعجبك قولي ؟ إنني أوزعها في شهر ! إذا دعني أقول لك بل في اسبوع . وإذا كان هذا لا يعجبك أيضاً أيضاً فإنني أقول لك أوزعها في يوم واحد بل في ساعة واحدة ! .

وهنا قال لي صلاح سالم :

هذا هو الكلام الفارغ ! .

فصرخت في وجهه وقلت له :

أنظر جيداً لمن تتحدث ، إنني لست واحداً من الباشوات أو المستوزرين . إنني لست علي ماهر أو غيره يجب أن تعرف إنني كنت ثائراً قبل أن تولد انت ! .

وما زلت أذكر جيداً كيف أن عبد الحكيم عامر نظر إلى صلاح سالم نظرة تأنيب وهتف به زاجراً : « صلاح ! » وغمغم عبد الناصر بما لم استطع تبينه ، وظل انطباع عامر في نفسي إلى أن مات وليد هذا الموقف من أنه كان يحمل لي احتراماً خاصاً وهو ما أكده لي أخي ابراهيم شكري الذي

هيأت له الظروف أن يحتك بهم أكثر مني .

ولنعد إلى سياق قصتنا فأقول انني بعد أن انتهرت صلاح سالم على الصورة المتقدمة قال لي :

حسناً . قل لنا كيف كنت توزع الأرض لو كنت في مكاننا . فقلت له :

هذا ما كان يجب أن تقوله منذ البداية ، وأن تحاول أن تتعلم مني (واللطيف انني حتى هذه اللحظة لم يكن في رأسي أي فكرة عن كيفية توزيع الأرض) ، واندفعت مع موجة التحدي حتى آخرها ، ولكنني لم أكد أسيطر على الموقف وينصت إلي الكل حتى فتح الله علي بالجواب ، فوجدت الفكرة تملأ رأسي ووجدتني اندفع لأقول لهم :

أبدأ فأضع القواعد الأساسية للمشروع . من هم الذين سآخذ منهم الأرض ، وما هو مقدار الزائد الذي سآخذه ثم أحدد من هم الذين سأعطيهم الأرض وأرتب أولوياتهم . وعن طريق الاذاعة أعلن أنه ابتداء من يوم كذا ، ساعة كذا ، تنتقل ملكية الأرض التي صفتها كذا وكذا إلى الفلاحين الذين صفتهم كذا وكذا .

فصاح صلاح سالم :

وعندئذ تثور آلاف المشاكل . ! فقلت له بحزم :

عندئذ تكون مهمتك أن تحل هذه المشاكل بالعدل ، ولكن الثورة تكون قد تمت وحدث الاصلاح الثوري المطلوب .

وقد كان هذا الذي قلته هو عين ما فعله عبد الناصر عندما تطور فيما بعد وأعلن ما سمّاه بالتحول الاشتراكي ، إذ أعلن في خطبه قرارات التأميم ومصادرة ما (زاد على حد معين من أسهم وسندات ، ولكنه فعل ذلك في الوقت الذي رأى فيه أن ذلك أصبح لازماً لاستدامة السلطان . كما كما لم يفعله عندما اقترحته عليه لأن ذلك كان لا يزال لازماً لاستدامة السلطان كما تكشفت الحقائق فيما بعد . من ذلك أن بقائي في السجن والاصرار على محاكمتي حدث تحت ضغط الانجليز على سبيل المثال كما أخبرني بذلك أحد وزراء ذلك العهد بعد أن خرج من الوزارة وهو الاستاذ حسين أبو زيد عضو الحزب الوطني .

ولنرجع إلى باقي قصتنا فأقول انني مضيت في مآخذي على الثورة فقلت لجمال عبد الناصر :

إنكم غارقون حتى الأذقان مع السياسة الأمريكية [1] !

---

١ – هذا الذي قلته آنذاك بحدس وتخمين ، هو عين الحقيقة ، فقد ثبت فيما بعد ان الثورة كانت في تعاون مع اميركا بالفعل في بادىء الامر .

فنظر إلي جمال عبد الناصر في دهشة وقال لي :

كده . . . كده يا أحمد . . . كده . . ؟

قلت له :

قد لا تعرف ، ولكن الذي أراه في كل تصرفاتكم يؤكد لي ذلك . وقد تكونون قد وقعتم في براثن السياسة الأمريكية من حيث لا تشعرون ! .

لقد طالعت مناقشات الكونغرس الأمريكي قبل إقراره النقطة الرابعة ، فوجدت انكم تنفذون في مصر كل ما يريده الأمريكان في مقابل تقديم مساعداتهم ، وهو أن تنصرف الشعوب التي يساعدونها إلى الاهتمام بالزراعة وتوسيع رقعة الأرض الزراعية وتحسين الانتاج الزراعي والاهتمام بتربية الدواجن وهو ما اصبحت الدعاية تغمر به وجه الحياة المصرية ، فهل كنا في حاجة إلى ثورة لتفهمنا أننا شعب زراعي ويجب أن نهتم بالزراعة ؟

إنني أعتبر أن مثل هذا الحديث نكسة وردّة . إن ما تحتاجه مصر هو الصناعة ومزيد من الصناعة ، والصناعة الثقيلة بالذات . وهناك ما هو أخطر من ذلك كله وهو تطبيق حرفي لخطط الامريكان . فقد كان من مفاخر النقراشي (احد رؤساء الحكومة قبل الثورة)

إنه عدل قانون الشركات المصرية بما يوفر الأغلبية للمصريين ٥١ بالمئة فبدأت الثورة عملها بأن أعادت تعديل القانون بما يحقق الأغلبية للرأسمال الأجنبي ٥١ بالمئة وهو ما اشترطه مجلس الشيوخ الأمريكي على أي دولة تريد أن تنتفع بالنقطة الرابعة .

استمع جمال عبد الناصر لما قلت دون أن يعلق، فضلا عن أن يرد بكلمة واحدة . وقد كشفت الحقائق فيما بعد أنني أصبحت أصبت ساعتئذ كبد الحقيقة ، وأدرك جمال عبد الناصر انني لست على استعداد أن أساير أو أجامل ، وانتهى حديثنا عند هذا الحد في غرفة الطعام . وانتقلنا إلى شرفة المنزل واستأنفت ملاحظاتي أو بالأحرى انتقاداتي .

كان أول سؤال طرحته على عبد الناصر بعد أن فرغنا من تناول الطعام وأصبحنا في الشرفة :

هل تستطيع أن تقول لي لماذا لم تعلنوا الجمهورية حتى اليوم ؟

وهنا فوجئت بصلاح سالم يقول لي :

هذه لك فيها حق .

والتفت إلى جمال وقال له هل أرد على هذا السؤال ؟

فسكت جمال قليلا ثم هزّ كتفيه في استخفاف وقال في تثاقل :

يعني هو الواد العيل ده (يعني الطفل احمد فؤاد الثاني) مضايقنا أو يقدر يضايقنا بإيه ؟ وهل يستطيع مجلس الوصاية أن يزعجنا في شيء ؟

فقلت له :

هذا ما يؤكد لي أنكم لستم بثوار حقيقيين . إن المسألة ليست مسألة يضايقونك أو لا يضايقونك ، ولكن المسألة مسألة الشرعية ، إنه باسم هذا الملك الطفل يستطيع أي متآمر عليكم أن يتآمر ولا يتهم بتهمة قلب نظام الحكم أما عندما يصبح الحكم جمهوري فإن أي متآمر ضدكم يكون متآمراً ضد نظام الحكم .

ولم يعلق جمال عبد الناصر ، ولكن الشيء المحقق أن الجمهورية أعلنت بعد شهر فقط من هذا الاجتماع .

كان أهم ما داز بعد ذلك أن جمال سألني ما هو برنامجكم ؟ واندفع يهاجم السياسيين بالجملة ، ويقول انكم تتكلمون ولا برنامج لكم ، فما هو عذركم ؟ إنني اعترف انه لم يكن لدينا أي برنامج إلا أن نقوم بالانقلاب ، فلما نجحنا لم نكن نعرف ما هي خطوتنا الثانية ، وعندما سألونا

ماذا تريدون قلنا هذا الكلام الفارغ الذي كنتم ترددوه مثل تطهير الحاشية ، فطلبنا منهم ذلك ولكن نحن معذورون أن لا يكون لنا برنامج ، ولكن أنتم ما هو عذركم ؟ وأشهد إنني أصبت بخيبة أمل من هذا التساؤل ، فقد كان كل ما عملوه منذ قاموا بإنقلابهم هو تنفيذ الاجزاء مما دعا اليه الحزب الاشتراكي (حزب مصر الفتاة) ، فأعلنوا الغاء الألقاب وهو ما دعا إليه الحزب الاشتراكي ، وأصدروا قانون الاصلاح الزراعي بعد أن مسخوه ، وها هو يسألني ما هو برنامجكم ، وعلى كل حال فقد أجبته :

إن كلمة الاشتراكية ليست مجرد برنامج ، ولكنها ثورة إصلاحية تمتد إلى أدق تفصيل من تفاصيل المجتمع ، ومع ذلك إذا شئت برنامجاً إصلاحياً كاملاً فإن حزبنا حزب مصر الفتاة قبل أن ينادي بالاشتراكية كان قد وضع برنامجاً مفصلاً يتناول كل نواحي النشاط ، وسوف أرسله لك غداً ، ولكني ما زلت أقول لك أن لا سبيل لاصلاح الحياة المصرية إلاّ من خلال الاشتراكية .

وهنا قال لي كمال الدين حسين :

الاشتراكية لكي تنجح فهي بحاجة إلى جهاز حكومي ممتاز ، ونحن والحمد لله ليس عندنا جهاز حكومي ممتاز ، أو غير ممتاز .

فأردت أن أعلق على كلامه فبدأت أقول :

إن الشعب . فإذا به به يقاطعني ويقول :

شعب إيه يا شيخ . هو انت عندك شعب ؟

فكانت هذه العبارة بمثابة لطمة على وجهي ، أو بمثابة دش بارد غمرني على حين غرة ، فأصبت بالذهول لبعض لحظات ثم انطلقت أقول :

لا حول ولا قوة إلا بالله . ما أتعس هذا الشعب ، حتى الذين خرجوا من صفوفه راحوا يلعنونه . كنت أظن أن هذا الشعب ستتاح له أخيراً فرصة ليتنفس الصعداء بعد طول عصور الكبت والحرمان ، ولكن ها هم سادته الجدد يلعنونه ويحتقرونه ! .

إن هذه الجملة التي قد تبدو أنها طائشة لم تلق أي اعتراض من جانب جمال عبدالناصر الذي عندما آلت السلطة إليه، وأصبح الحاكم المطلق . لم يكن يكف لحظة عن الاشادة بالشعب المعلم ، والشعب القائد ، وجماهير شعبنا الواعية . إلى آخر هذه الأناشيد التي عاش يترنم بها .

شيء آخر قلته لعبد الناصر في هذه الجلسة التاريخية ، وهي تأكيدي على أنني لا أريد شيئاً لنفسي من أي نوع كان ،

ولكنني أقدم له أغلى جوهرتين خرجت بهما من كفاحي الطويل وهما :

الدكتور حلمي مراد ، وأخي ابراهيم شكري ، وطلبت منه أن ينتفع بهما لخدمة مصر ، ولقد احتاج الأمر إلى عشر سنوات قبل أن يفكر في الاستعانة بابراهيم شكري ، وإلى ستة عشر عاماً قبل أن يدخل الدكتور حلمي مراد في وزارته الأخيرة بعد الهزيمة الساحقة على يد إسرائيل .

الفصل الثاني

انتقال الصدام من السر إلى العلن

ساد البرود العلاقات بيني وبين مجلس قيادة الثورة ، وعلى رأسه جمال عبد الناصر ، بعد هذه المقابلة على الرغم من أن الجمهورية قد أعلنت بعد أقل من شهر من هذا الاجتماع ، وعين محمد نجيب أول رئيس للجمهورية ، أي أنهم أخذوا باقتراحي ، وإن كان عدم رضائهم عني قد تضاعف . فرأيت بقوة التصور الذاتي الذي كنت فيه أن أنقل انتقاداتي لهم من السر إلى العلن . فكتبت لجمال عبد الناصر عن رغبتي في إلقاء محاضرة عامة ، إما في نادي الضباط ، وإما في هيئة التحرير وموضوعها : (ما الذي حققته الثورة وما الذي بقي عليها أن تحققه) . وسرعان ما تلقيت الإجابة بقبول إلقاء المحاضرة في هيئة التحرير التي كانت قد اتخذت مقراً لها في ثكنات حرس قصر عابدين . وفي الموعد المحدد

لالقاء المحاضرة كان فناء الثكنات مكتظاً بالجمهور كما لم يسبق لذلك مثيلا في حياة الهيئة ، وبدأت الهتافات تعلو بنداءات مصر الفتاة :

(الله أكبر والمجد لمصر) .

وعلى ذكر هذه الهتافات فقد فاتني أن أذكر في الفصل السابق الذي سجلت فيه ملاحظاتي ، أو بالأحرى انتقادي ، أنني قلت لعبد الناصر :

كيف تحل جميع الأحزاب وتبقي على الاخوان المسلمين ؟ فقال لي : لا تجعل خلافك مع الاخوان يؤثر عليك في هذا الموضوع ، إن الاخوان المسلمين قد قاموا بخدمات جليلة لمصر ، كأننا نحن (مصر الفتاة) لم نقم بخدمات وسوف يسجل التاريخ المنصف أنه لولا جهود الحزب الاشتراكي عامي ٥٠ — ٥١ لما نجحت ثورة ٢٣ يوليو ، ولكنني لم أشأ أن أذكر جمال بشيء من ذلك ، وأردت أن أكون موضوعياً فقلت له :

هل ستحكم بالقرآن [1] ؟

فأجابني على الفور : (لا طبعاً !) فقلت له :

---

١ — صح ما توقعنا فعندما تمسك الاخوان المسلمون بعهدهم وهو الحكم بالقرآن لم يذكر لهم هذه الخدمات الجليلة ، كما سيأتي في حينه .

إذاً لا بد أن يقع الاصطدام بينك وبينهم إن عاجلاً أو آجلا لأنهم لا يرضون وهم لا يقومون إلا على أساس الحكم بالقرآن .

بعد قليل تحول الاجتماع إلى اجتماع كأنجح ما كانت عليه اجتماعات الحزب الاشتراكي ، وبعد فترة من بدء المحاضرة حضر محمد نجيب رئيس الجمهورية ، (ولم أعلم إلا فيما بعد أن هذا الحضور قد سبب للرجل أزمة ، فقد كان مجلس قيادة الثورة قد قرر بالاجماع مقاطعة الاجتماع، ولكن هذا القرار لم يصل إلى علم محمد نجيب فيما يبدو ولذلك فقد جاء إلى المحاضرة وأخذت لي معه عدة صور وهو يعانقني ، فقد كان ذلك يرضي الجمهور ، كما أن ابراهيم الطحاوي سكرتير هيئة التحرير قدمني قبل القاء المحاضرة بكلمات كريمة وطيبة مما جعلني أذكر له ذلك بالخير طيلة عمري) . أما ماذا قلت في المحاضرة ، فصحف ذلك الزمان تحتوي إشارات لما قلت ، فقد امتدت الرقابة لحذف الكثير مما قلت فقد دعوت دعوة حارة إلى الحرية ، واتهمت الثورة بالعقوق والحنث بوعودها للأمة ، ونددت بخطة الحكومة في عدم اسراعها بتصنيع البلاد ، وسخرت من الترويج للزراعة وحذرت من الوقوع في براثن السياسة

الأمريكية . وأذكر أنني استعملت تعبيراً عنيفاً وهو قولي :

إنه ليس صحيحاً أن يقال أنه لولا الجيش لما قامت ثورة ٢٣ يوليو ، وإنما الصحيح أن يقال لولا الجيش لما تأخرت الثورة حتى ذلك الوقت .

ومن عجب أن هذا التعبير على ما أذكر ورد في إحدى الصحف وهي تلخص ما دار في الاجتماع .

محمد نجيب

نجح الاجتماع نجاحاً منقطع النظير من الناحية الشعبية ، وأثبت أنني أنا كعهد الجماهير بي ، ولكن خطابي هذا قطع ما بيني وبين مجلس قيادة الثورة نهائياً ، وأدرجني في قائمة الخصوم ، وقد دل على ذلك أن محمد نجيب عوقب لحضوره الاجتماع وما قاله في الثناء على المحاضرة وعلي شخصياً دفعه فيما بعد لينتهز أول مكان يذهب إليه لكي يرد على كل ما قلته ساخراً من كل ما قلت وواصفاً إياي بأني (الأفندي الجاهل) . والمهم أن هذا الرد راح يذاع من محطة الاذاعة كل ساعة مرة [1] . مما دلني على الرغبة في التشهير بي

١ — لم يقلل ذلك يومذاك من تقديري لمحمد نجيب . فقد كنت متأكداً ان هذا القول قد املي عليه املاءاً ، واحمد الله ان الايام مرت وبقيت انا ومحمد نجيب احياء لنتقابل ونتبادل الود والاحترام .

وانني لم أعد صديق الثورة ، وكانت قطيعة بيني وبين عبد الناصر .

فمضت شهور وشهور لم نتقابل فيها بعدها فمن ناحيتي لم أحاول الاتصال ، ومن ناحيته كان عدم الرضاء . ولم نتقابل بعد ذلك إلاّ بعد أن وصل الأمر إلى حد اعتقالي في السجن الحربي ، والاعتداء علي بالضرب ولكن لذلك قصة تحتاج إلى تفصيل .

الفصل الثالث

اصطدام مجلس قيادة الثورة مع محمد نجيب واعتقالي

أصل الآن إلى الاصطدام الذي وقع في مطلع الثورة بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر والذي خرج منه جمال عبد الناصر شخصياً منتصراً [ولست في هذا الكتاب أضع تاريخاً مفصلاً للحوادث ولكنني أروي مقابلاتي مع عبد الناصر وذكر ما يتصل بذلك من الحوادث أو يمهد لها]. وصفوة القول أنه حدث خلاف بين محمد نجيب ومجلس قيادة الثورة على طريقة حكم مصر وقد ضقت ذرعاً بهذا الخلاف وأذكر أنني سهرت في إحدى الليالي في دار الأخبار فحملت حملة شعواء على رجال الجيش وبعد انتهاء الجلسة رأيت أن أبعث برأيي إلى كل من محمد نجيب وجمال عبد الناصر فأرسلت برقية ليس أمامي الآن نصها ولكني أذكر أنني قلت فيها « أن مصر ليست ضيعة تتشاجرون

وتتفقون على كيفية التصرف فيها ؛ إن الشعب يريد تحقيق الوعود والعهود التي قطعتموها على أنفسكم مصر تريد حرية ودستوراً وديمقراطية صحيحة ولن يغفر الشعب لمن يتلاعب بمصيره وحريته » .

وفي نفس الليلة التي أرسلت البرقية في صباحها قبض عليّ البوليس الحربي الذي كان يقع بالقرب من محطة العاصمة (وقد هدم الآن) ولأول مرة في تاريخ حياتي أسب بأخس الألفاظ وأدناها واعتدى علي رئيس البوليس الحربي آنذاك وأعوانه بالضرب ، ولست أريد أن أسهب في ذكر التفاصيل أو أن أذكر اسم من اعتدى علي فقد سامحته ولازلت مسامحه ، ومن ناحيته فقد اعتذر لي فيما بعد وقد جدد هذا الاعتذار بعد وفاة عبد الناصر للدكتور حلمي مراد وقال له أنه لم يرتكب في حياته خطأ يأسف عليه إلا مرتين أحدهما الاعتداء علي بالضرب . وإني أعتقد أن هذا كرم منه فليس هناك ما يحمله على هذا الاعتذار .

ولنرجع إلى سياق ما كنا بسبيله — ففي هذه الليلة التي قبض علي فيها واعتدى علي — تصورت أن نهايتي قد دنت وأن النهار لن يطلع علي وأني سأضرب بالرصاص ، فقد اختاروني أنا وثلاثة من الاخوان المسلمين ، أذكر منهم

المرحومين عبد القادر عوده وطاهر الخشاب ، وأوقفونا إلى جوار حائط ، وأمامنا أربعة جنود يحملون المدافع الرشاشة ، وتصورت أن ذلك تمهيد لقتلنا ، وتهيأت نفسي بالفعل للموت ، فأحسست براحة وسكينة بعدما وقع ، ولكن الموت لم يقع . وعند الصباح قادونا إلى السجن الحربي ، وقد كان شيئاً يختلف كل الاختلاف عما عهدته من سجون طوال حياتي ، وكان يغص بالمعتقلين من الاخوان المسلمين ومن بينهم الهضيبي رئيس الاخوان المسلمين [١] .

ومرة أخرى أريد أن أذكر أنني لا أكتب مذكرات أو كتاباً عن هذه الفترة ، ولذلك أمر سريعاً على الحوادث.

وقد فوجئت في أحد الأيام بالدكتور حلمي مراد يقاد معتقلا إلى هذا السجن ، وقد أحسست وأنا أراه على هذا النحو وهو الرفيق الوديع المريض ، أحسست بما يشبه طعنة السكين ، وكما كان الاعتداء علي بالضرب هو الأول من نوعه في حياتي ، فكذلك كان اعتقال حلمي مراد . وأحسست أن الدنيا قد تغيرت ، وأن كل القيم قد تبدلت ، ولم يعد

---

١ – سجلت رأيي بمناسبة وفاة المرحوم حسن الهضيبي وانه يذكرنا في تدينه وورعه وصلابته واحتماله ما تعرض له من امتحان في صبر شبيه بصبر الامام احمد بن حنبل .

هناك حد للوقوف عنده .. وأريد أن أسرع للوصول لمقابلتي لعبد الناصر .

وقد بدأ يزعجني أنهم شرعوا يجرون تحقيقاً مع بعض الطلاب المعتقلين ويحرضونهم على ذكر أقوال ضد الدكتور حلمي ، وانه كان المدبر لقضيتهم ضد الجيش : وبذل ابراهيم شكري مجهوداً ليس سوى الله من يذكره له ويكافئه عليه ، وقد تمكن من مقابلة عبد الناصر ، واتفق معه على الافراج عني .

وبالفعل تم الافراج ، وكان يشغلني في الدرجة الأولى بقاء الدكتور حلمي مراد في السجن ، فسعيت لمقابلة جمال عبد الناصر لأشكره على الافراج عني ولأرجوه الافراج عن الدكتور حلمي وايقاف محاولة التلفيق ضده .

وقد تفضل عبد الناصر بالفعل فحدد لي موعداً ، وكان قد أصبح رئيساً لمجلس الوزراء .

وفي الموعد المحدد ذهبت أنا وابراهيم شكري لمقابلته ، وكانت هذه هي المقابلة الرابعة فيما أذكر ، وأدركت لأول مرة كيف أصبحنا نحكم .

وبمجرد أن دخلنا على عبد الناصر وجه الحديث إلى ابراهيم شكري قائلاً :

والآن يا عم وقد أفرجت عن احمد حسين فلن أراك ، أما وهو معتقل فقد كنت أراك كل يوم . أتريد أن أعتقل أحمد حسين لكي أراك يا أخي ؟ بابي مفتوح لك في كل وقت ، فأرجوك أن لا تنقطع عن مقابلتي ...

من الواضح أن ابراهيم شكري كانت له مكانة عند عبد الناصر ، وكان شديد الرغبة في استخدامه معه على أي صورة من الصور ولم يحل دون ذلك إلا الصلة الوثيقة التي تربط بيني وبين ابراهيم شكري ، مما جعلني أذكر جمال بذلك فيما بعد ، فحاول أن يصحح خطأه ، ولكن بعد فوات الأوان ، كما هي عادته ، كما سيجيء بالتفصيل في حينه ، وأعود لتسجيل ما حدث في هذه المقابلة .

ابتدأت فشكرت جمال على الافراج عني ، فأبدى أسفه لما وقع علي من اعتداء ، وراح يعاتبني على برقيتي التي وصلت إليه في أحرج الأوقات حيث كان يتوقع مني بعد كل الذي فعله من أجلي أن أكون أول من يقف إلى جواره لا أن أطعنه في الخلف ، ثم راح يعدد هذا الذي فعله من أجلي ، وكيف أنه أخرج النائب العام ورئيس النيابة الذي كان يحقق معي ، فهو لا يعرف لهم ذنباً إلا دورهم في قضيتي ، وقد تركته يتكلم دون أن أقاطعه ، فقد كانت

الأمور قد أصبحت واضحة وإننا صرنا نحكم عسكرياً بغير حدود أو قواعد . حتى إذا فرغ من حديثه قلت له :

إنني أعترض على شيء واحد وهو إنني عندما أرسلت برقيتي كنت أطعنه في الخلف ، ولقد أرسلتها بالذات حتى لا يقال عني ذلك . وحدثته بنبأ سهرتنا في جريدة الأخبار وانتقادي لتصرفاتهم وخوفي من أن ينقل ذلك إليهم باعتباره عملاً في الخفاء ، فأرسلت إليه البرقية كما أرسلتها لمحمد نجيب ، فلست في جانب ضد جانب ، وطلبت من جمال أن يتسامح معي لأنني عشت طوال ربع قرن وأنا أدعو صباح مساء إلى الحرية والديمقراطية ، وقد اندفعت بقوة القصور الذاتي ، أما بعد حدوث ما حدث فلن يسمع عني بعد الآن ما يكره ، وقلت له انني من مدرسة القرن التاسع عشر الذي كان يقدس الحرية الفردية ، ولكن الدنيا تغيرت ، ويظهر أن القرن العشرين جاء بنظريات جديدة في مفهوم الحرية ، ولما كنت لا أستطيع أن أتأقلم مع الجو الجديد ، فلم يبق أمامي إلاّ أن أعتزل السياسة ، ومثلي في ذلك مثل فرسان العصور الوسطى الذين كان سلاحهم السيف ، وكانوا يتصرفون وفق قانون معين للشرف ، فلما تغير العصر واخترع البارود لم يبق أمام الفارس الذي يحترم نفسه إلاّ أن يعتزل الحياة ويعلق سيفه على الحائط من قبيل ذكريات

عهد مضى (وقد أعجب هذا القول زكريا محي الدين الذي كان وزيراً للداخلية في ذلك الوقت وكنت قابلته بعد مقابلتي لعبد الناصر وانفرجت أسارير وجهه لدى سماعه هذا التشبيه وقال : ايش ... ايش .. لو لم يكن لاعتقالك إلا فهمك هذا الدرس لكان اعتقالك خيراً وبركة) . أما جمال عبد الناصر فلم يعلق على قولي بشيء ، بينما مضيت أقول له في بساطة : هل تذكر يوم قلت لك أنني أصلح أن أكون مستشاراً لك لأنني لا أريد منك شيئاً ولا أخاف منك ؟

فهز رأسه وقال : متذكر . قلت له :

الآن أقول لك : إنني لم أعد أصلح أن أكون مستشاراً لك لأنني أصبحت أخاف منك .

وسكت عبد الناصر ولم يعقب . وبعد أن خرجنا دهشت عندما قال لي ابراهيم شكري أن هذه العبارة كانت شديدة ، فاني قلتها ببساطة ولم أتصور أنها شديدة .

وقلت لعبد الناصر :

وهل يصح أن تعتقل الدكتور حلمي مراد لأنه قريبي ؟

فأجابني على الفور : أنا لم أعتقل الدكتور حلمي لأنه قريبك ، ولكنني اعتقلته لأنه يتآمر على حياتي !

ولم يكد يقول هذه الجملة حتى أحسست كأن قلبي

يوشك أن يقف ، وظللت مشدوهاً لمدة لا أعرف مقدارها ثم قلت وأنا لا أزال مشدوها :

حلمي مراد يتآمر على حياتك ؟

فأجابني : أجل هكذا قالوا لي !

ولم أعرف ماذا أقول فقد عقدت المفاجأة وخطورة التهمة لساني . وأخيراً وجدتني أقول له :

لن أقول لك إلاّ شيئاً واحداً وهو أن تستدعي الدكتور حلمي مراد وتنظر إلى وجهه فإذا خرجت بانطباع أن الدكتور حلمي مراد يمكن أن يفكر في إيذاء قطة ، فاحكم عليه بالاعدام ، إنني احتكم إلى مجرد شعورك واحساسك . ووجدتني أقول له : أهكذا الرجل الذي قلت لك عنه انني خرجت به من الدنيا وأقدمه هدية لك يقولون لك عنه أنه يتآمر على حياتك ؟

فقال لي :

متى قدمته إلي ؟

فقلت عندما كنا في بيت ابراهيم شكري . فأسرع يقول :

أهو الشخص الذي كان موجوداً معنا على مأدبة الافطار ؟

فقلت له نعم ، فإذا به يرد على الفور :

إذن يخرج حلمي مراد من السجن غداً . !

وكما كان قلبي يتوقف عندما اتهم حلمي مراد بهذه التهمة الشنيعة ، فقد كاد قلبي يقف مرتين من الفرح وهو يقول :

يبقى حلمي مراد يخرج بكره .

وانعقد لساني من المفاجأة والفرحة هذه المرة ، وبعد قليل قلت له :

هل تسمح لي أن أزور حلمي مراد في السجن لأبشره ؟ فقال لي :

لا لزوم لذلك ستراه غداً في البيت .

لقد كان أقصى ما أطمع فيه أن لا يلفق ضد حلمي مراد ، وخاصة بعد هذه التهمة الشنيعة ، أما أن يفرج عنه بهذه البساطة فشيء لم أكن أتصوره ، وقلت لابراهيم شكري بعد أن خرجنا :

إنني حزين أن مصائرنا وأقدارنا أصبح يتصرف فيها بهذه السهولة والاستهتار ، فحلمي مراد يتهم ببساطة مذهلة بالتآمر على حياة عبد الناصر ثم يفرج عنه إذا كان سيفرج عنه فعلا بهذه البساطة ، ولمجرد كلمة تخرج من شفتي عبد الناصر .

وقد برّ عبد الناصر بوعده ، فأفرج بالفعل عن حلمي مراد في اليوم التالي ، وزاد على ذلك أن أمر عبد الناصر النيابة العمومية أن تخرجه من التهمة وكان من تضليل النيابة العامة آنذاك أنها لم تحفظ التحقيق برمته ، وقدمت بضعة طلاب بأنهم اتفقوا مع الدكتور حلمي .. على كذا .! وكيت . وجاءني بعض أولياء أمور الطلاب لأترافع عنهم . فقلت لهم أن الأمر لا يحتاج إلى أي مرافعة ، بعد اخراج حلمي مراد من القضية ، فقالوا لي : أن رئيس المحكمة هو « الدجوي » السفاح فقلت لهم حتى ولو كان الجن الأزرق فلن يجرؤ على إدانة أشخاص بأي تهمة بالاشتراك مع الدكتور حلمي الذي أطلق جمال عبد الناصر سراحه وأمر بحفظ التحقيق ضده لأن هذا لو حدث ، يعني الطعن في تصرف عبد الناصر ، ولن يجرؤ الدجوي على ذلك . وصح ما توقعته لقد حكم الدجوي في هذه القضية لأول مرة ولآخر مرة في حياته بالبراءة على هؤلاء الطلاب وأعود إلى حديث المقابلة وقد فاتني أن أذكر أن صلاح سالم دخل أثناء وجودي مع عبد الناصر فقال له جمال :

ها هو أحمد حسين وقد أفرجت عنه من السجن .

فابتسم صلاح سالم ابتسامة صفراء وقال :

متى سيعود إليه ؟

وكان هذا هو ما فتح به الله عليه . وقد عشت بعد ذلك أمقت صلاح سالم إلى أن جاءت الظروف التي أوقعته في المحنة ، فكان أن أخذت بثأري بأن عطفت عليه ، وفي إحدى المناسبات وكان الناس تهرب من ظله واسيته وحييته مما سأعود لذكره بالتفصيل .

المهم انه منذ قامت الثورة إلى أن مات عبد الناصر ، كان كل من حوله يكيدون لي ، وكان هو الوحيد الذي يحميني من مؤامراتهم مما جعلني أذكر له ذلك طوال حياته ، وفي هذه المقابلة إذا لم تخني الذاكرة حدثنا لأول مرة حديثه الذي ما فتىء يكرره في شتى المناسبات ، ويوسع أحياناً ، ويضيق أخرى ، إلى أن ذكره بأكمل وأجمل تفصيل قبل انتهاء حياته بثلاثة أشهر كما سأسجله بالتفصيل في حينه .

قال لنا جمال عبد الناصر أنه لولا حزب مصر الفتاة لما نزل إلى ميدان الحياة العامة ، وراح يقص علينا كيف أنه في عام ١٩٣٤ وكان يسير بميدان المنشية بالاسكندرية ، فوجد اشتباكاً بين رجال البوليس وجماعة من الناس فانضم تلقائياً مع المصطدمين بالبوليس فقبض عليه ، وسيق إلى مركز بوليس المنشية ، وهناك في السجن سأل لأول مرة عن

الحكاية ففهم أن مصر الفتاة كانت تريد عقد اجتماع منعه البوليس ، وأرادت مصر الفتاة أن تعقده بالقوة ، وفي اليوم الثاني أفرج عن جمال عبد الناصر ، فأسرع بالانضمام لمصر الفتاة . ويمضي عبد الناصر في حديثه ويقول :

فلولا هذا الحادث العارض لتغيرت حياته (أي حياة عبد الناصر) ولما كان ما كان . ولم يثر هذا الكلام أي حماسة في نفسي فضلاً عن رضاء ، فقد كنت فيما مرّ بي من أحداث قد صدمت صدمة شديدة لم أستطع أن أفيق منها طوال حكم عبد الناصر .

هكذا كانت مقابلتي الرابعة مع عبد الناصر .

الفصل الرابع

البطش بالاخوان المسلمين وهجرتي من مصر

أرجو أن لا يسأم القارىء من تذكيره أنني أقصر هذا الكتاب على مقابلاتي لعبد الناصر فلا يتوقع مني أن أفيض في ذكر الحوادث العارمة التي امتلأ بها عصره من ذلك: أن شاباً من الاخوان المسلمين أطلق عليه النار وهو يخطب في الاسكندرية فرأى عبد الناصر أن يبطش بالاخوان المسلمين وأن ينكل بهم فقبض عليهم بالمئات والألوف وأخضع الكثيرين منهم لصنوف شديدة من التعذيب لم نسمع بمثلها من قبل وذلك للحصول على اعترافات بأسماء من وصفوهم بأنه تنظيم سري لاغتيال جمال عبد الناصر والاستيلاء على الحكم وأخيراً شكل لهم محكمة أطلق عليها اسم محكمة الشعب وضع على رأسها من يدعى جمال سالم وهو انسان شبه مجنون وفي المحاكمة ظهر من أقواله وأفعاله ما يدل على عدم اتزانه كأن يطلب من أحد المتهمين أن يقرأ فاتحة الكتاب

بالمقلوب وصحف هذه الفترة حاوية لكل تفاصيل هذه المأساة وأخيراً صدر حكم المحكمة باحكام صارمة وفظيعة كان من بينها اعدام خمسة وعلى رأسهم بطل الاخوان المسلمين الأكبر عبد القادر عودة . أما الهضيبي رئيس الاخوان المسلمين والذي كان قد أشرف على السبعين سنة فقد حكموا عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة.المهم أنني ضقت ذرعاً بكل ما حصل من المساخر ولم أتصور أنه باستطاعتي أن أعيش في هذا الجو فقررت أن أهاجر من البلاد ولكي يسمح لي بالسفر رأيت أن أقصد إلى مكة في وقت العمرة ورأيت أن أقابل عبد الناصر ليصرح لي بالخروج . وبالفعل طلبت مقابلته فأذن لي بالمقابلة وخرجت من المقابلة وأنا أكثر اصراراً على الهجرة مما دخلت .

وإليك تفاصيل هذه المقابلة التي تكشف عن طبيعة عبد الناصر وأسلوبه الذي عاش عليه طول عمره على الرغم من أن هذه المقابلة تمت في مطلع عام ١٩٥٥ .

كنت حريصاً أشد الحرص على إرضائه ما استطعت إلى ذلك سبيلا ومع ذلك فلم أتمالك نفسي بعد قليل أن تحدثت بصراحتي المعهودة وقد بدأ الحديث بسؤاله عن صحتي وأحوالي بصفة عامة فحمدت له الله وان كنت لم أكتم عليه أن أحوالي المعنوية ليست على ما يرام. فأجابني انني يجب

أن أكون سعيداً فلو لم يكن أحمد حسين لما كان عبد الناصر
ثم راح من جديد يقص علي قصة انضمامه إلى مصر الفتاة
وأنه لولا ذلك لربما تغير مجرى حياته وأضاف قائلا: انك
صاحب رسالة. وشعرت بالمرارة وهو يتلفظ هذه الكلمة
فقد وجدني أسائل نفسي ما هي هذه الرسالة أهي أن أضرب
وأهان وأخرج من سجن لأدخل إلى سجن آخر، ويظهر أنه
أراد أن يسري عني كأنه أحس ما في نفسي، فسألني وما
رأيك في هذا الذي حدث. وكان يعني موضوع الاخوان
المسلمين وشنق عبدالقادر عودة ومن معه، فقلت له:
إن هذه الأحكام كان يمكن أن تمر دون احداث كل الذي
أحدثته من استنكار لو أنكم لم تقدموا على شنق انسان واحد
فأجابني على الفور تقصد عبد القادر عودة فقلت له أجل
لأن عبد القادر عودة بريء بمقتضى الأدلة التي ثبتت أمامكم
في محكمة الثورة فعبد القادر عودة كان قد مضى عليه أكثر
من شهرين في السجن عندما وقع الاعتداء عليك فمحال أن
يعتبر شريكاً في الاعتداء عليك .

بقى أن يقال أنه اتفق على ذلك قبل اعتقاله، ولكن جميع
المتهمين الذين اعترفوا على أنفسهم قالوا أنه لم يكن عضواً
في التنظيم السري ومحال أن تتصور متهماً يعترف على نفسه
وعلى رئيس الجماعة وينفي التهمة عن عبد القادر عودة ولو

تصورنا أن أحد المتهمين قد فصل ذلك لأمر ما فمن المحال أن يجمع المتهمون على هذه الحقيقة رغم إخضاعهم للعذاب الشديد فعبد القادر عودة كان معتقلاً ساعة وقوع الحادث وفوق ذلك كان أبعد ما يكون عن التنظيم السري ولم يرد اسمه خلال المحاكمات إلا عندما قيل ان الاخوان المسلمين فكروا يوماً ما في القيام بمظاهرة مسلحة فرفض الهضيبي أن تكون المظاهرة مسلحة واشترط أن تكون المظاهرة سلمية وعلق القيام بالمظاهرة على موافقة عبد القادر عودة ولكن عبد القادر عودة رفض فكرة المظاهرة من أساسها حتى لو كانت سلمية . هذه هي الحقائق كما ثبتت أمام المحكمة بعد كل الشذوذ الذي اتبع مع المتهمين . فعبد القادر عودة بريء براءة ناصعة من العدوان عليك وأشهد .

لقد أنصت عبد الناصر لهذه المرافعة المستفيضة ولم يحاول أن يقاطعني وبعد أن فرغت من أقوالي وسكت قال لي :

والله يا أحمد نحن لم ننظر للمسألة من زاويتها الجنائية وإلا لاكتفينا بسجن الولد الذي شرع في الاعتداء علي (إذا لم تخني الذاكرة كان يسمى عبد الخالق) ولكننا نظرنا للمسألة ككل وأردنا أن نضع حداً للاخوان المسلمين ، وقد صعقت في سريرتي لهذا التصريح فهو لم يمار في براءة عبد القادر عودة ولكنه وافق على شنقه للتخلص من الاخوان

المسلمين ، وقد عشت حتى رأيت بعيني رأسي بعد خمسة عشر عاماً من هذا الحادث الاعلانات الضخمة في مدينة جدة عن بيع كتب الشهيد عبد القادر عودة وسيد قطب .

وبعد فترة صمت سألني عبد الناصر وما هو رأيك في موضوع الدستور ؟ فقلت له أي دستور ؟ فقال الدستور الذي نريد وضعه للبلاد . فقلت له : إننا نحتاج لشيء أبسط من الدستور كان موجوداً دائماً في مصر إبّان حكم الانجليز وهو الشعور بالأمن والطمأنينة لغير مرتكبي الجرائم ، اننا في حاجة إلى قانون تبين فيه كل ما تعتبره جريمة ضدك ، ولك أن تكتب في هذا القانون ما تشاء شريطة انني إذا ابتعدت عن المحظورات الواردة في القانون أكون آمناً ، فأنا مثلاً مع أنني قد تركت الاشتغال بالسياسة فضلاً عن أن يكون لي دور في معارضتك ومع ذلك أحس بالخوف ولا أشعر أنني محاط بأي ضمان فقال لي على الفور : إنك يجب أن تثق بي وتعتمد علي فأنا مثلاً قد تسلمت تقريراً يقول أنك تقابلت سراً مع الهضيبي (رئيس الاخوان المسلمين) فأنا لم أصدق هذا التقرير ووضعته في الدرج . فانعقد لساني من الدهشة والفزع وقلت له : يا خبر اسود أنت تسلمت تقريراً أنني تقابلت مع الهضيبي ؟ فقال نعم ولكني لم أصدقه . فقلت له هذا هو عين ما أخشاه وارتجف منه فأنا

في هذه الأيام حددت إقامتي من تلقاء نفسي وأنا ألزم عقر داري وأصبحت أرفض حتى مقابلة أقاربي ومع ذلك فهذا لم يمنع أن يصلك تقرير عن مقابلتي للهضيبي . فقال وقد كاد أن ينفذ صبره : قلت لك انني لم أصدقه فأجبته : يا سيدي يا سيدي أنت لم تصدقه لأن لديك بالصدفة معلومات خاصة في هذه الجزئية ولكن هب أن التقرير قال لك انني قابلت السفير الروسي لكان ذلك أقرب إلى تصديقك ولتصورت أنني انزلقت من الاشتراكية إلى الشيوعية وأني أصبحت خصماً للثورة . فقال لي عبد الناصر إنك يجب أن تثق بي وتعتمد علي . وأشهد أن عبد الناصر لو قال لي هذا القول بعد عدة سنوات وبعد أن تكشف ما تكشف لاطمأنت نفسي لهذا الوعد أما في ذلك التاريخ الذي أتحدث عنه (١٩٥٥) فقد قلت له يا سيدي أنا أريد أن أثق بالقانون ، ولا ننسى أنك لست وحدك (كم كنت جاهلا) المتصرف . فسكت ثم قال بعد تردد : معاك حق المسألة مسألة الاحساس بالأمن . وقد شجعني ذلك فقلت له : اضرب لك مثلاً آخر أنني أعتبر عملكم في مديرية التحرير من أعظم الأعمال إذ تهجعون به على الصحراء وكم أتوق لزيارتها ولكني خشيت أن يقال ما الذي جاء بأحمد حسين هنا . أو هذا العمل الآخر وأعني معسكرات العمل التي أقمتموها

للشباب وقيل أنهم يعملون في إزالة تلال زينهم . لقد كانت معسكرات العمل من أعز أماني وكم بودي لو أزورها ولكني أخاف لنفس السبب.وبدلا من أن يمسك جمال عبد الناصر بالتليفون ويصدر الأوامر بأن يسهلوا لي زيارة مديرية التحرير أو معسكرات العمل إذا به يهز رأسه ويغمغم بكلمات لم أتبينها . وأردت أن ألقى بآخر قذيفة في جعبتي لأحمله على عدم التخوف مني فقلت له : لست أعرف ماذا أفعل لأقنعك أنني أصبحت شخصاً آخر قد طلق السياسة ، هيا يا سيدي وظفني . ولم أكد أقول هذه الكلمة حتى انطلق عبد الناصر يقهقه وبعد حين قال لي : أنت موظف أنت ؟ فاحمر وجهي خجلاً وقلت له ما الذي يضحك في ذلك ؟ عندما أقول وظيفة فلست أعني أن أزرر الجاكتة أمام رئيسي ولكني أعني وظائف في القضاء أو السفارات . فعاود جمال عبد الناصر الضحك وقال لي : لا...انت صاحب رسالة . ومرة أخرى أدركت أنه يتهرب مني ولم أدر ما الذي يعنيه بهذه الرسالة . ومضى عبد الناصر يحدثني لأول مرة كيف كان في مشروع القرش قبل مصر الفتاة وكان يحرص عندما أعلن الوفد هجومه على المشروع أن يبيع ما معه من الطوابع حتى آخر طابع بعد أن زاد عناده واصراره على نجاح المشروع وعقب قائلاً : ان بلدنا

تحاول دائماً أن تحطم كل من ينجح . وقد كنت أرى في حديث عبد الناصر دائماً شيئاً عادياً لا غرابة فيه . والعبارة الوحيدة التي استوقفتني لأول مرة وكانت بدء مشواره الطويل بعد ذلك طوال خمسة عشر عاماً ، كانت عندما سألته: وفيم هذا الهجوم الشديد على حلف بغداد. وكان في ذلك الوقت يشن حملة ضخمة على حلف بغداد، وكان صلاح سالم يجوب البلاد العربية للتحريض ضد الحلف.

قال لي جمال عبد الناصر : إنك تعرف نوري السعيد فقلت له :أجل أعرفه وهذا ما يجعلني أرى أن لاجدوى من كل ما يقال فأجابني عبد الناصر : الحقيقة أنني أرى أن الدفاع عن المنطقة يجب أن ينبثق من داخل المنطقة لا من خارجها » وقد دهشت لضخامة هذا القول العريض وأشهد أنني عشت في السنوات التالية أقر لعبد الناصر أنه حلم هذا الحلم العظيم واستطاع أن ينفذه . لولا أنه رحمه الله لم يبرح الدنيا إلا بعد أن وضع مصر تحت حماية الاتحاد السوفييتي . وعندما هاجمت اسرائيل بطائراتها أعمق أعماق مصر وهددته بأن تدمر كل مشروعاته سافر إلى روسيا واستنجد بها لتمده بالصواريخ والرجال الذين يستخدمونها فلما حاول الروس أن يترددوا ، هددهم بالاستقالة فاضطر الروس تحت هذا التهديد أن يجيبوه إلى طلبه ،وأرسل الروس

صواريخ سام ٣ مع الرجال اللازمين لتشغيلها وانني أكتب هذه السطور في نهاية يناير سنة ١٩٧١ والروس هم الذين يرسمون طريقنا في اتجاه اسرائيل [١] وهكذا انتهى جمال عبد الناصر إلى عكس ما بدأ به حياته والتي حولها إلى سلسلة طويلة من المعارك لكي ينتهي بنا إلى ما انتهينا إليه من دخولنا في دائرة النفوذ السوفييتي .

شعبنا طيب لا يحب سفك الدماء

ثمة تعبير لا يزال محفوراً في ذاكرتي مما قاله لي عبد الناصر الناصر ولست أدري إذا كان قد قاله في هذه المقابلة أو في مرة سابقة قال لي : لقد كان إخواني يريدون إعدام فاروق ولكنني وقفت في وجه ذلك اعتقاداً مني أننا متى بدأنا هذه البداية الدموية فلست أعرف أين نقف ونحن شعب طيب نكره العنف وسفك الدماء وقد أسعني منه هذا التصريح . وقد كان هذا التصور هو الذي جعله يحكم هذه المدة الطويلة. وفيما خلا اصطدامه مع الاخوان المسلمين واضطراره لشنق من شنق فقد كان يستخدم مبضع الجراح فلا يريق دماً أكثر من اللازم لاستقرار الأمور وقد مكنه من ذلك شعبنا المسالم المطواع .

---

١ – قرر الرئيس انور السادات في حديثه مع مجلة الحوادث اللبنانية (ابريل ١٩٧٤) ان عبد الناصر طلب من روسيا ان تعين (روسيا) رئيساً للسلاح الجوي المصري .

الفصل الخامس

هجرتي من مصر ثم العودة إليها

هاجرت من مصر إلى السعودية ورحلت منها إلى سوريا ومن سوريا إلى لبنان فإلى انجلترا أو بالأحرى عاصمتها لندن وعدت إلى سوريا ولبنان من جديد فالسعودية فالسودان حيث أرسلت لعبد الناصر بضع خطابات مفتوحة ، نشرت في حينها في صحف بيروت وخاصة جريدة الحياة ، كما كانت تنشرها صحف السودان وكتبت أندد فيها بسياسة الحكم المطلق وأطالب بالدستور . ثم عدت إلى مصر من جديد لاستقر بها وأموت ولكن هاأنذا بعد ستة عشر عاماً لا أزال حياً بعد أن مات عبد الناصر ولله في خلقه شؤون . وفي مذكراتي تفصيل يومي عن حياتي في هذه الفترة وقد اتصل بي عبد الناصر مرتين خلال هذه الفترة اتصالا غير مباشر عن طريق سفارته في سوريا وسفارته في السودان .

وقد كان عبد الناصر كريماً معي فسمح لزوجتي وأولادي جميعاً أن يزوروني في سوريا ولم يقف في وجه هذه الزيارة وسمح لزوجتي بعد ذلك أن تلحق بي في لندن، وقد كان هذا وفي ذلك الوقت تلطفاً منه . أما اتصاله بي عن طريق سفيره في سوريا فقد حدثني عنه السفير محمود رياض الذي أصبح فيما بعد وزيراً للخارجية قال لي أنه ذكرني في أحد رسائله إلى وزارة الخارجية وحديثي معه عن ضرورة الدستور والديمقراطية في مصر فإذا به يفاجأ ببرقية من عبد الناصر شخصياً يطلب فيها منه أن يطلب مني أن أعود إلى مصر . ولم أكن ساعة أن تسلم البرقية في دمشق وإنما كنت أعيش في بيروت فإذا بي أتسلم رسالة من محمود رياض تفيض رقة وأدباً وراح فيها يخاطبني بأنني أستاذه، وطبعاً هو لم يفعل ذلك إلا تحت تأثير برقية عبد الناصر والله يعلم ماذا كان في هذه البرقية . على أن محمود رياض حتى قبل هذه البرقية كان معي مهذباً ورقيقاً .

أما المرة الثانية التي اتصل بي فيها فقد كانت عندما كنت في السودان إذ اتصل بي السفير وكان قد عاد لتوه من القاهرة وقال لي : إن زكريا محي الدين قد اتصل به وأفهمه أن لا شيء ضدي وإذا أردت أن أعود إلى مصر

فليس هناك أي مانع وأذكر أنني انتهرت السفير وقلت له: ان مصر بلدي وقد خرجت منها باختياري وسأعود إليها عندما أريد ولست في حاجة لاذن أحد.وكنت قد علقت عودتي إلى مصر على صدور الدستور واستقرار الأوضاع فأما وقد حدث هذا فسوف أعود إلى مصر عندما أريد .

ولقد أردت وعدت وفتحت مكتباً للمحاماة ٤٣ شارع قصر النيل وعكفت على مزاولة مهنتي وأعقب عودتي إلى مصر تأميم شركة قناة السويس ، ونجاح عبد الناصر في مواجهة العدوان الثلاثي بمساعدة أمريكا وروسيا معاً . وقد تبادلت مع عبد الناصر عدة برقيات طيبة في هذه المناسبات كما رد علي شاكراً لاهدائي له كتابي « من وحي الجنوب » ، وعندما تبرعت بمبلغ من المال لتسليح الجيش . ولكن نجاح عبد الناصر في مواجهة العدوان أولا ، ثم تحقيق الوحدة مع سوريا ثانياً ، قد جعل رأسه يدور ويحاول أن يتصور أن تاريخ مصر قد بدأ به فنسي كل شيء عن الماضي ،وانقطع كل اتصال بيني وبينه حتى عن طريق البرقيات . على أن ذلك لم يمنع أن يصل إلى سمعي أن عبد الناصر يذكرني بالخير وكان ذلك بمناسبة مرافعتي في إحدى القضايا السياسية وذلك على الوجه التالي :

اتهم الدكتور محمد صلاح الدين وزير خارجية حكومة

الوفد قبل الثورة والاستاذ عبد الفتاح حسن الوزير الوفدي السابق كذلك وآخرون وقد توليت المرافعة عن المتهم الثالث وكان يدعى حسن صيام ولكنني عند اعداد المرافعة وضعت في حسابي أن تكون مرافعتي شاملة لجميع المتهمين بأن أنسف القضية من أساسها . وقد وفقني الله توفيقاً عظيماً على الرغم من أن القضية كانت تنظر أمام الدجوي وقد ترافعت أمامه طويلاً دون أن يقاطعني للمرة الأولى والأخيرة في حياته ولقد كان هو الذي ذكر هذه الملحوظة أمام عبد الناصر ولقد قص علي الدجوي تفاصيل هذه المقابلة عندما ذهب ليعرض القضية على عبد الناصر للتصديق على الأحكام باعتباره الحاكم العسكري، ولو لم يؤيد لي المدعي العسكري (محمود سامي) الذي حضر المقابلة لنفس الغرض لما صدقت ما قاله لي الدجوي ، مع أن الدجوي ما كان ليجرؤ على أن يقول ما قاله لي كذباً وادعاءً . قال لي الدجوي أن جمال عبد الناصر سأله بمجرد أن وقع بصره عليه : ما هي أحسن مرافعة كانت في القضية . فتوقف الدجوي وتحرج أن يجيب (لأنه لا يعرف الجواب الذي يسر عبد الناصر) ووفر عليه عبد الناصر مشقة الجواب فقال له : أحمد حسين أليس كذلك ؟ لقد سمعت المرافعة كلها (كانت تسجل تسجيلا صوتياً) وهنا اطمأن الدجوي لنوع الجواب الذي يريد

عبدالناصر أن يسمعه، فأسرع يقول: تصور يا أفندم أنه ظل يترافع أمامي ثلاث ساعات دون أن أقاطعه مرة واحدة (كان هذا في نظر الدجوي مقياس نجاحي الخارق) فرد عليه جمال عبد الناصر : هل ستعرفني بأحمد حسين؟ألا تعرف أنه كان استاذي عندما كنت طالباً؟ ودهش الدجوي لهذا التصريح الضخم يخرج من فم عبد الناصر وأنا شخصياً على الرغم من أن جمال عبد الناصر قال لي ما هو أكثر من ذلك (لو لم يكن أحمد حسين ما كان جمال عبد الناصر) ومع ذلك فما كنت أثبت هذه الرواية لولا أن أكدها لي محمود سامي المدعي العسكري الذي كان يحضر القضية . وقد شجع ذلك القول الدجوي على أن يقول لجمال عبد الناصر اني وسطته لادخال ابني مصطفى في سلاح الطيران وإنني أخشى أن يرفضوه لمجرد كونه ابني . فقال له عبد الناصر : إن ابن أحمد حسين كأي مواطن آخر فقل له أن لا يخشى شيئاً إذا هو كان لائقاً ونجح في امتحانات الطيران .

وقد اجتاز ابني الامتحانات بالفعل بعد أن حقق كل الذي طلب منه (بما في ذلك خلع سنة لم تكن على ما يرام وتركيب سنة صناعية) ونجح مصطفى في امتحان كشف الهيئة وحدثني ابني كيف داعبه صدقي محمود رئيس سلاح الطيران يومئذ وناداه (بأبي درش) مما دل على أن كلمة عبد الناصر السحرية قد فعلت فعلها . وقد اتصل بي محمود

سامي عقب نجاح مصطفى في كشف الهيئة وهنأني على قبوله وطلب مني أن يبيض مصطفى وجوههم . وكان مقرراً أن تعلن النتيجة في اليوم التالي رسمياً وكانت مفاجأة ابني مصطفى شديدة عندما نودي في اليوم التالي على المقبولين ولم يكن واحداً منهم ولم يستطع أي إنسان أن يفسر ذلك . أكان جمال عبد الناصر يخدعني ويخدع كل من تحدث إليه ؟ لا أظن ذلك فلم يكن هذا أسلوبه في معاملاته الخاصة . ولكني أسجل هذه الواقعة كما حدثت . غير أن الأمانة التاريخية تقتضيني لكي أضع كل المعلومات أمام القارىء أن أقرر أن عبد الحكيم عامر كان غائباً عن مصر خلال هذه الفترة وحضر في اليوم السابق على إعلان النتيجة وعرضت عليه الكشوف لاعتمادها . وأغلب الظن أن يكون هو الذي شطب اسم مصطفى . في ذلك الوقت لم يكن يدور بخلدي أن يجرؤ عبد الحكيم عامر على مخالفة تعليمات عبد الناصر ولكن الحوادث التالية أثبتت أن عبد الحكيم عامر كان مطلق التصرف فيما يتعلق بالجيش حتى ولو خالف تعليمات عبد الناصر . أيكون هذا هو الذي حدث ؟ لست أدري وأدع للقارىء أن يحكم بنفسه [1] .

---

١ -- اكد لي الاستاذ لطفي واكد الذي عمل فترة من الزمن مديراً لمكتب عبد الناصر ان عبد الحكيم عامر في اوج سلطانه ما كان ليجرؤ على شطب اسم يوافق عليه جمال عبد الناصر .

الفصل السّادس

اشتغالي بالمحاماة واعتزالي الحياة بعد ذلك

عكفت على الاشتغال بالمحاماة وانقطع أي اتصال بيني وبين عبد الناصر بعد أن كان بدأ يكبر ويعتقد بحق وصدق وله العذر في ذلك انه أعظم من عرفته مصر بل العرب بل أفريقيا وربما الدنيا كلها وبدأ يعمل على أن يكون زعيماً فوق الزعماء . وفي الثالوث نهرو وتيتو وعبد الناصر وكان يعتبر نفسه أكبرهم وألمعهم ولا عيب في ذلك بالنسبة لشخصه ولكن سرعان ما نسي نفسه وامكانياته وبدأ يتصرف كما لو كانت مصر قد أصبحت أمريكا وروسيا، مما انتهى إلى ما انتهى إليه حيث استطاعت اسرائيل أن تحطم كبرياءه وثقته بنفسه، حتى اضطر لانقاذ ماء وجهه أن يعتبر أن كلمة اسرائيل مرادفة لكلمة أمريكا نفسها، ناسياً أن أمريكا في حسابه لم تكن شيئاً وأن أمريكا بكل جلالها وقوتها مغلوبة على أمرها في فييتنام .

المهم أن جمال عبد الناصر وصل إلى ذروة قوته في مطلع الستينات ولم ير نفسه في حاجة إلى التلفت دقيقة واحدة نحو الخلف فالتاريخ يبدأ به وحده . في هذه الفترة أعلن القرارات الاشتراكية بنفس الطريقة التي اقترحتها عليه قبل خمس سنوات لتنفيذ قانون الاصلاح الزراعي أي طريق إصدار مراسيم تذاع في الراديو لاحداث التغيير المطلوب .

في هذه الفترة لم أعد شيئاً إلا مجرد محام . أتيحت لي الفرصة أن أرافع في قضيتين عسكريتين هما قضية من يسمى سعيد لطفي والأمير التركي السابق ناموق بتكليف من الأمير عبدالمنعم بن الخديوي عباس وزوجته نسل شاه . ومرة أخرى أنبـــه إلى أنني لا أكتب مذكرات تفصيلية فقد سجلت ذلك كله في مذكراتي . والمهم أنني بعد قليل ضقت ذرعاً بالمحاماة فقد أصبح القضاة كلهم من الشبان وتغير وجه الحياة وعمت الرشوة في كل مكان بحيث أصبح علي إذا أردت المضي في عملي كمحام أن أنصح موكلي بدفع بعض الأموال هنا وهناك لضمان النجاح ، كل ذلك اضطرني في نهاية الأمر إلى اعتزال الحياة ــ خاصة حياة المحاماة ــ بعد اضطراري لاعتزال الحياة العامة ــ فتخليت عن مكتبي للأستاذ شفيق أبو اليسر وطلبت من نقابة

المحامين إحالتي على المعاش فقدروا لي معاشاً قدره ستة عشر جنيهاً زيدت فيما بعد بموجب قانون جديد إلى ستة وعشرين . ومضت حياتي في عقر داري وأنا معتكف اعتكافاً تاماً لم أكن أخرج من البيت إطلاقاً في السنوات الأولى ثم خففت ذلك بعض الشيء فيما بعد . وعند هذا الحد وقع الانفصال في سوريا وكان هذا الانفصال أول ضربة أصيب بها جمال عبد الناصر الذي كان قد ألغى اسم مصر وسماها الجمهورية العربية المتحدة ووضع على العلم الجديد نجمتين وبدأ يستعد لوضع نجوم جديدة عندما حدث الانفصال .

وبدأ جمال عبد الناصر يتلفت صوب الماضي وبدأ يذكر اسم « مصر الفتاة » وبالتالي يذكرني وذلك على الوجه التالي :

دعا جمال عبد الناصر لعقد ما يسمى باللجنة التحضيرية لتضع الأسس لنظام ديمقراطي على هواه واختار لهذه اللجنة أعضاءها وبينما كان يناقش الأعضاء وكانت الجلسات تذاع مباشرة على الهواء في التليفزيون إذا بي أفاجأ بعبد الناصر يقص قصة إنضمامه إلى مصر الفتاة ولكنه سردها بطريقة غير مرضية إذ أنه قال في ختام القصة أنه لم يرتح في مصر الفتاة فتركها وطاف على بقية الأحزاب.وكان هذا أول تصريح علني يعلن فيه أنه كان في مصر الفتاة وإن كان

قد حرص على أن يعلن أنه طاف بجميع الأحزاب حتى لا يؤثرها بفضل . وقد تعدد بعد ذلك حديثه عن مصر الفتاة في اجتماعات أخرى عامة كذلك .

ثم حدث اتصال بين عبد الناصر وبيني على الوجه التالي :

فقد دق التليفون في أحد المرات وكان المتحدث هو الاستاذ فتحي رضوان وبعد أن تبادلنـــا التحيات فاجأني بقوله انه انتهز فرصة لقائه مع الدكتور نور الدين طراف الذي كان لا يزال في الوزارة بعد خروج الاستاذ فتحي منهـــا وطلب منه أن يحادث جمال عبد الناصر بخصوص إيجاد عمل لي وقد فعل نور الدين طراف وخاطب جمال عبد الناصر الذي أبدى ترحيباً وكلف الدكتور طراف أن اختار أي عمل في شركة من الشركات أو المؤسسات على أن أتقاضى ما قدروه من مرتبات ١٥٠٠ جنيه في السنة أي حوالي ١٢٥ جنيهاً في الشهر فقلت له على الفور : إن هذا هو أبعد الأشياء عن ذهني وانني أعتذر شاكراً عن هذا العرض . فقال لي الأستاذ فتحي أنه سيزورني بعد يومين ويجب أن أفكر في الموضوع حتى يجيء وأن من رأيه ألا أرفض والمهم هو نوع العمل فكررت له إصراري على الرفض .

وجاء الاستاذ فتحي رضوان في الموعد المتفق عليه وزادني إيضاحاً عن الموضوع الذي لم يخرج عما قاله في التليفون ولكنه أضاف أن يكون العمل في المجلس الأعلى للفنون والآداب حتى لا أكون مرتبطاً بأي مواعيد وأنظمة . فقلت له انني أعتذر عن أي عمل يبدأ بأن يقول جمال عبد الناصر عيّنا فلاناً في كذا فسألني لماذا ؟ فقلت له لقد طلقت الحياة وكل مناشطها كي أسترد حريتي . وأحمد الله أنني استطعت أن أسترد حريتي وأن أرضى عن نفسي من جديد . انني أعيش وسط هذه الجدران الأربعة بقروش قليلة ولكني قانع وأحس بالسكينة ولست مستعداً أن أنزل عن ذلك لأعود إلى الدوامة من جديد . فقال لي الاستاذ فتحي رضوان اذن يطبعون كتبك . فقلت له ولا حتى هذا فأنا عندما أقوم بجهودي الذاتية بتأليف كتاب وينجح فإني أكون سعيداً بذلك أما عندما تطبع الحكومة كتبي فلست أعرف ما هو دوري في نجاحها إذا نجحت . فقال لي الاستاذ فتحي رضوان إذن يشترون كتبك فقلت له إن كتبي في السوق يستطيعون شراء ما يريدون منها . فقال لي الاستاذ فتحي : ولكني لا أستطيع أن أنقل هذا الرد السلبي لئلا يساء تأويله. فقلت له إذا كان ولا بد من أن أطلب شيئاً فإني أطلبه لأخي ابراهيم شكري فإني أفهم كل الفهم موقف جمال عبد الناصر مني

حتى لو أنه أمر بشنقي فأنا رجل يحتمل أن يقال فيه أي قول . وإنما الذي لا أفهمه وسوف أحاسب عليه يوم القيامة هو موقفه من الاستاذ ابراهيم شكري . لقد رأيت بعيني رأسي كيف يقدر جمال عبد الناصر ابراهيم شكري . ولقد انفق ابراهيم شكري أمواله في سبيل مواطنيه ، وفعل ما لم يفعله في جيلنا انسان آخر إذ أنشأ مدرسة ثانوية في شربين ، ولقد أوذي وسجن ، ويأبون عليه في العصر الحديث أن يكون عضو مجلس إدارة في مدرسة زراعية رشحه لها ناظر المدرسة ، هذا ما لن أغتفره لعبدالناصر فإذا أراد أن يسدي لي شيئاً فأمامه ابراهيم شكري .

وخرج الاستاذ فتحي من عندي . وبعد أيام جاءني الدكتور نور الدين طراف شخصياً بتكليف جديد من عبد الناصر كما فهمت ذلك فيما بعد وكان حديثه معي أكثر طلاوة وأكثر وضوحاً قال إن جمال عبد الناصر لا يفتأ يذكرني بالخير ويتحدث عن ذكرياته في مصر الفتاة ويتساءل أين ذهبت هذه الروح القديمة عندما كان أحمد حسين يخطب عن الصلب والحديد فنحس بأنفسنا وقد كدنا نشتعل ناراً . وقد أضاف عبد الناصر في حديثه أكثر من مرة : « لقد أدخلني أحمد حسين في السياسة وأنا أخرجته منها » . قال

لي طراف فأنا انتهزت هذه الفرصة وقلت : له ان أحمد حسين الآن في البيت . فكلفني أن أقابلك وأعرض عليك أي وظيفة تختارها وقد أبلغني الاستاذ فتحي رأيك وأنك ترشح ابراهيم شكري فقال جمال عبد الناصر أنه لم يكن يتصور أن ابراهيم شكري في حاجة لأي شيء (كأن المسائل مسألة حاجة) وقد أصدر عبد الناصر تعليماته لتعيين ابراهيم شكري في أي مؤسسة يختارها . وطلب مني أن أعيد عليك الكرة . فقلت له أولا أريد منك أن تنقل إليه عميق شكري لتذكره إياي في هذه الظروف (كان مشغولا جداً في هذه الأيام في أزمة من أزماته الطاحنة) ولكن التجارب أثبتت أن أي أزمة مهما عظمت لم تكن تشغله عن أدق التفاصيل . ثم أضفت قائلاً : وأرجوك أن تبلغه أنني أصبحت الآن أفهمه فهو ينفذ كل ما دعوت إليه في أي يوم من الأيام ولكنه كرجل دولة ينفذه في الوقت المناسب (لم أقل له ينفذه بعد فوات الوقت فيأتي خالياً من أي روح) وقد بقي عليه أن يفهمني باعتباري رجل نظريات وداعياً إلى المثل الأعلى . وقلت لطراف الذي كان عضواً من أبرز أعضاء مصر الفتاة : قل له أيضاً أن لا يقطع نفسه حسرات على انعدام روح مصر الفتاة فقد زالت موجباتها . لقد كانت مصر الفتاة جماعة من الشبان الذين لم يكونوا يملكون شيئاً

إلا أرواحهم في وجه الانجليز والملك والأحزاب فكانوا على استعداد أن يشعلوا النار في أجسادهم إذا كان ذلك ينتج بعض الأثر أما الآن فالقوة كلها والسلطان في يده فليست هناك أي حاجة لشباب من نوع شباب مصر الفتاة ولكنه الآن في حاجة لمن ينفذ في أمانة ودقة وسيجد ذلك في شباب الأمس الذين أصبحوا اليوم رجالا (والغريب أن هذا المعنى لم يطرأ على ذهن عبد الناصر رغم عبقريته وسنرى كيف سيختم حياته متحسراً على روح مصر الفتاة وداعياً الشباب من سامعيه أن يتمثلوا به عندما كان في مصر الفتاة) .

بقي في ذاكرتي من أنباء هذه المقابلة أنني قلت لنور الدين طراف : إنني كسبت من عزلتي أن أي أحد يأتي الآن لزيارتي أو يقول لي كلمة طيبة فهو يفعل ذلك لشخصي وليس لجاه من أي نوع كان أو سلطان وأنا أستمتع بذلك ولست على استعداداً أن أنزل عن ذلك ، فإذا حياني الناس أو زاروني كان ذلك للوظيفة .

ومما قاله طراف إن جمال عبد الناصر يذكر كل شي عن مصر الفتاة حتى ليذكر محمد صبيح ويذكر بصفه خاصة عبد الحميد المشهدي وكلف طراف أن يبحث عن عبد الحميد المشهدي . وقد وصل إلى يدي فيما بعد صورة لشباب

مصر الفتاة في الاسكندرية وهم يرتدون القمصان الخضراء وجمال عبد الناصر من بينهم وكان عبد الحميد المشهدي على رأسهم . وقد ظهر على الفور استجابة عبد الناصر لهذا الحديث بالنسبة لابراهيم شكري فقد جدّوا للاتصال به .
ولما كان ابراهيم شكري من أعظم المزارعين الذين مارسوا الزراعة نظرياً وعملياً فهو خريج كلية الزراعة وقد أبى بعد تخرجه أن يوظف وآثر أن يقيم في الريف بناحية شربين التي أحبته والتفت حوله حتى أوصلته إلى أن يكون أول نائب اشتراكي في مصر . فكان من الطبيعي أن يختار ابراهيم شكري أحد مؤسسات الأقطان ليعمل بها فعين عضواً منتدباً لشركة مصر لحليج الأقطان ولم يكن ذلك إلا نقطة البداية فقد اختاره عبد الناصر بعد ذلك ليكون أمين الاتحاد الاشتراكي في محافظة الدقهلية وكانت الانتخابات لمجلس الأمة تجري في هذه الأثناء فانتخبه أهالي شربين للمرة الثانية عضواً لمجلس الأمة .

على أن النجاح الأكبر لابراهيم شكري وصل إلى ذروته عندما انتخبه المزارعون رئيساً لنقابتهم بعد معركة حامية اشترك فيها ألوف المهندسين الزراعيين فأفزع هذا النجاح علي صبري وبقية البطانة ، خصوصاً وأن ابراهيم شكري أقبل على العمل في كل الميادين التي أختير لها بكل الجد والاخلاص وإنكار الذات الذي كان علماً عليه طول

حياته ، وهذه صفات لم يعد يعرفها رجال العهد ولذلك فسرعان ما ضاقوا ذرعاً بابراهيم شكري والله وحده يعلم ماذا قالوا لجمال عبد الناصر . ولا شك أنهم صوروا إبراهيم شكري أنه أصبح خطراً (عليهم بطبيعة الحال لا على جمال عبد الناصر) المهم أن عبد الناصر أخرجه من أمانة الاتحاد الاشتراكي ووافق على استبعاد اسمه من عضوية مجلس الأمة بعد أن تجددت الانتخابات فأسقطوه باستعمال ألاعيبهم كما فعلوا مثل ذلك به في انتخابات نقيب الزراعيين وهكذا لم يستطع نظام عبد الناصر أن يتسع لمجاهد شريف أمين [1] .

والعجيب أن ذلك هو عين ما حدث للدكتور حلمي مراد فيما بعد حيث قربه جمال عبد الناصر ثم ما لبث أن ضاق ذرعاً بشخصيته وأمانته واستقامته ونجح المحيطون بعبد الناصر في إظهار خطورته فأسرع بالتخلص من حلمي مراد كما سيرد تفصيل ذلك في حينه . والمهم أن جمال عبد الناصر استعان بالفعل بالرجلين اللذين طلبت منه الانتفاع بهما ولكن بعد فوات الوقت كما هي عادته ولم يستطع أن يحتمل شخصيتهما واستقلالهما ونزاهتهما فأقصاهما عنه ثانية .

---

١ — اخبرني ابراهيم شكري فيما بعد ان جمال عبد الناصر ابلغه عن طريق انور السادات ان اخراجه من الاتحاد الاشتراكي من فعل علي صبري الذى طلب حرية التصرف فيمن يعمل معه .

الفصل السابع

حادث يكشف عن حماية عبد الناصر لشخصي

كان رجال المخابرات طوال حكم عبد الناصر يحاولون النيل مني لا لشيء إلا لأن مهمتهم (وأكل عيشهم) يقوم على إيهام عبد الناصر أن المؤامرات من حوله وأنهم هم الذين يحمونه ، فكانوا ينتهزون أي فرصة ليزجوا باسمي ليضفوا على المؤامرة شيئاً من الخطورة ، والشهادة لله أن عبد الناصر لم يصدق شيئاً مما قالوه له ، ويظهر أنه أعطاهم أوامر مشددة أن لا يتعرضوا لي بأي إجراء إلا باذن شخصي منه وهكذا لم يحدث أن أزعجني أي بوليس طوال حكم عبد الناصر ، وقد كنت ارتجف فزعاً ، عندما كانت بعض القضايا تعرض على المحاكم العسكرية وأرى أن اسمي قد زج به في القضية ومع ذلك فلم أستدع مرة واحدة للسؤال حتى ولو لتكذيب هذا الذي قيل . وذلك يدل على أن قبضة

عبد الناصر على المخابرات كانت قوية ، وأن كل ما ارتكبته هذه المخابرات من جرائم كان بعلمه ورضائه ، وليس كما حاول أن يزعم فيما بعد أن الأمور كانت تسير على غير هواه .

وقد كان أفظع ما حدث لاتهامي هو ما جاء في قضية الدكتور عبد المنعم الشرقاوي وهو محام كبير أرادت المخابرات لأمر ما أن تنال منه فتعرض إلى أبشع أنواع التعذيب وطلب منه أن يعترف أنه أحضر لي مالاً من السعودية لاغتيال عبد الناصر ، مع أنني لم أكن قد رأيت عبد المنعم الشرقاوي منذ أكثر من عشر سنوات . وقد كتب لهم الدكتور عبد المنعم الشرقاوي ما يريدون من اعترافات جعلوني فيها المحور الأساسي لمؤامرة خطيرة ويظهر أن الأمر عندما عرض على عبد الناصر استبعد إتهامي ، فحول رجال المخابرات الدفة إلى أشخاص أخرى بطش بهم جمال عبد الناصر فمنهم من أخرج من وظيفته ، ومنهم من سجن ثم أفرج عنه بعد حين ، وأما أنا فلم أستدع حتى لمجرد أخذ أقوالي .

وهكذا كان جمال عبد الناصر يداينني ، وأحمد له في سريرة نفسي هذا الجميل وتلك هي قدرة عبد الناصر التي حكم بها ثمانية عشر عاماً ، وهو أن يشعر كل إنسان بأنه هو حاميه وراعيه .

على أن الأمور وصلت في إحدى المرات إلى حد لم يكن في الاستطاعة تجنب سؤالي لتحديد مركز بعض المتهمين وتبدأ القصة بعد حدوث النكسة وما أصاب المصريين العقلاء والحساسين من ألم وتمزق حيث رأوا نظاماً ولا أقول جيشاً فقط ينهار في غمضة عين ، ويبدو كما لو كان بيتاً من ورق هبت عليه ريح عاصفة . والهزيمة مرة في جميع الأحوال ولكنها في عام ١٩٦٧ كانت أكثر مرارة مما يتصورها أي انسان وذلك لما سبقها من جعجعة وطنطنة وكيف أن جيشنا على استعداد لازالة اسرائيل من وجود في بضع ساعات ثم كانت هذه الضربة القاضية ، فكان ذهول ، وكان عبد الناصر نفسه أعظم من أصيب بالذهول إذ أعلن استقالته من منصبه في هذا الجو .

كان أحد أقاربي من هؤلاء الذين استبد بهم الألم فراح يتحدث عن ضرورة العمل على إسقاط عبد الناصر ، وظل يهذي ويثرثر حتى صدق نفسه وراح يتحدث عن مؤامرات مزعومة وزج بإسمي في حديثه ليضفي على كلامه بعض الأهمية وقبض عليه ، وعلى صديق آخر لي وهو محمد رياض . وكان لا مناص من سماع أقوالي هذه المرة . وفوجئت ذات ليلة بأحد الضباط يقتحم المسكن في أدب واتصل برئيسه تليفونياً الذي قال لي إن وزير الداخلية في

انتظاري في اليوم التالي ، وعليّ أن لا أغادر المنزل . وتصورت وتصور أولادي وزوجتي أنه قد وقعت الواقعة أخيراً ، وبدأت أهيء نفسي لصنوف التعذيب ولم أنم بطبيعة الحال هذه الليلة ولكني عندما ذهبت في اليوم التالي لوزير الداخلية وقد كان شعراوي جمعة أحسن استقبالي ولما حدثته عن الرعب الذي تملك أسرتي طلب مني أن أتصل بهم تلفونياً لأطمئنهم ثم راح يحدثني عن ثقة الرئيس بي ، ولكي يزيد في اطمئناني قال لي عن الموضوع وهو يتصل بقريبي (علي أبو حرام) وأنه قال قولاً ، وقال محمد رياض قولاً آخر ، وإنني الوحيد الذي يستطيع أن يقرر أي القولين أصدق . وسجل حسن طلعت رئيس المباحث العامة أقوالي في محضر خاص في حجرة جانبية متصلة بحجرة الوزير ، ولم يفته أن يغلق الباب عليّ حتى يرى قرار الوزير بخصوصي ، ولكن الوزير استدعاني وأعاد تحيته لي مما جعلني أعانقه وأثني عليه ولم أكد أصدق نفسي أنني خرجت حراً طليقاً . وغني عن البيان أن ذلك كله لم يتم على هذه الصورة الكريمة إلا بتوجيه من عبد الناصر شخصياً وهو ما أكده للدكتور حلمي مراد فيما بعد عندما أصبح وزيراً .

الفصل الثامن

الدكتور حلمي مراد وزيراً

أصل الآن إلى ذروة الاتصال بيني وبين عبد الناصر ، ومن عجب أن هذا الاتصال كما كان دائماً في السنوات الأخيرة ، اتصالاً غير مباشر ، ولكنه أقرب أن يكون مباشراً لوثاقة الصلة بيني وبين الدكتور حلمي مراد الذي اختاره وزيراً في مطلع عام ١٩٦٨ . ولقد تحدثت عن موقف عبد الناصر من الدكتور حلمي مراد عندما ذكرته به وكان من الواضح أن عبد الناصر بدأ يتابع حياة حلمي مراد ويبدو أنه اطمأن لشخصيته كل الاطمئنان فرشحه ليكون على رأس مؤسسة الثقافة العمالية وقد تمنع الدكتور حلمي مراد طويلاً ، وحسين الشافعي يعرض هذا المنصب ، واسمع حسين الشافعي ما لم يسمعه من فم انسان قبله ، من حيث اعتزازه بنفسه ، واستقلاله في الرأي وأخيراً قبل الدكتور

حلمي المنصب بالاضافة إلى عمله كأستاذ بالجامعة ، وراح يفني نفسه في العمل واصطدم مع مساوىء العهد من حيث لا يدري ، كأن يجد موظفاً كبيراً لا يعمل شيئاً ، فيصر على وجوب أن يعمل ، وتكون حقيقة الحال أن الرجل يعمل في المخابرات ، وكل مهمته أن يتجسس لا أن يعمل ، ويستغيث الرجل بالمخابرات ، ويحاولون إرهاب حلمي مراد ، أو يدع الرجل في شأنه ، ولكن حلمي مراد يقف كالطود الشامخ ويحتقر محاولات الارهاب ، بل ويبلغ الأمر به أن يقول لمحدثه وكان ضابطاً كبيراً لو أن عبد الناصر نفسه ارتكب ما ارتكبه هذا الموظف لأوقفه وحقق معه ، ويظهر أن الأمر رفع إلى عبد الناصر ، فوقف إلى جوار حلمي مراد ، وفوجىء باعتذار ضابط المخابرات فضلاً عن اللواء الموظف الذي أوقفه حلمي مراد وأمر بالتحقيق معه . على أن المخابرات لم تدع حلمي مراد فسلطت عليه غيره ليصطدم معه .

وانتهت مدة إعارة حلمي مراد من المؤسسة العمالية بناء على طلبه، بعد أن رقي إلى منصب وكيل جامعة القاهرة ، متخطياً بذلك بعض من كانوا يطمعون في هذا المنصب وسرعان ما أصبح كما هو شأنه دائماً أكثر من وكيل للجامعة خاصة وقد كان رئيسها السابق (الدكتور نجيب حشاد) مريضاً وكثير التغيب .

وراح يتصرف كما اعتاد أن يتصرف منذ التحق بالنيابة العمومية ، في أول حياته الوظيفية ، أي باستقلال وشجاعة ونزاهة ، وبدأت تقع منه التصرفات التي تنخلع لها القلوب ولكنه يجريها ببساطة . فمن ذلك على سبيل المثال أن أصدر أمراً بحرمان طالبة مشاغبة من سكنى المدينة الجامعية ، فامتلأ بعض الإداريين في الجامعة بالذعر ، لأن هذه الطالبة صديقة لهدى عبد الناصر (ابنة جمال عبد الناصر) وحذروه من مغبة عمله . فإذا به يصر على قراره ويطلب التنبيه على الآنسة هدى عبد الناصر أن تقطع علاقتهـا مع هذه الفتاة حتى لا تسيء إليهـا ، ويذهل الموظفون ، فقد كانوا يرون شيئاً جديداً ، ولست أكتب تاريخ حلمي مراد فليس ذلك مكانه ولكني أشير إلى تصرفاته التي كان لها علاقة بعبد الناصر ، فقد كانت هذه الأخبار ومثيلاتها تصل إلى عبد الناصر. ومن ذلك أيضاً أنني فوجئت ذات مرة بالدكتور حلمي مراد يزورني ، وكان جمال عبد الناصر فيما أذكر يحضر حفلة في قاعة الاحتفالات الكبرى (كانت حفلة تغني فيها أم كلثوم بالجامعة) وقد تصور حلمي مراد أن أحداً لن يلحظ غيابه ، مع أن الدولة كلها ليس لها شغل إلا أمثال هذه الأمور .

والمهم أن هذه الشجاعة وهذا الترفع والاستقلال ، ظل

يعجب بعبد الناصر فلما خلا منصب مدير جامعة عين شمس رقي حلمي مراد إليه .

ولست أريد أن أكرر نفسي للتحدث عن حلمي مراد في منصبه الجديد ، لنصل إلى إنفجار طلاب الجامعات في سنة ١٩٦٨ ودعـا عبد الناصر مديري الجامعات ليتدارس معهم الموقف وهكذا التقى بالدكتور حلمي مراد وجهاً لوجه ، ويسجل التاريخ لحلمي مراد أنه واجه عبد الناصر في هذا الاجتماع بكل ما في ضمير المثاليين والمصلحين من مآخذ على العهد ، وكان كعادته صريحاً ولم يخش عبد الناصر ، فأسمعه كل شيء ، حتى أن الحاضرين كانوا في دهشة من هول ما يسمعون ، ولكن جمال عبد الناصر على ما حدثني الدكتور حلمي مراد ظل ينصت ويسمع ، بدلاً من أن يعصف به كما تصور المتصورون إذا به يستدعيه بعد بضعة أيام ليعينه وزيراً للتربية والتعليم بمناسبة تعديل وزاري أجراه . وحدثني حلمي مراد عن اجتماعه الأول مع عبد الناصر فيقول أن جمال عبد الناصر فاجأه بعرض الوزارة عليه فاعتذر الدكتور حلمي مردداً ما اعتاد على قوله وهو أنه لا يرى وظيفة تعلو على أستاذية الجامعة فضلاً عن أن يكون مديراً للجامعة . فأجابه عبد الناصر أنه يريده معه لينفذ الآراء الاصلاحية التي اقترحها وأنه اختاره لوزارة

التربية والتعليم ولم يكد الدكتور حلمي مراد يسمع اسم الوزارة ، حتى تشدد في اعتذاره بدعوى أنه لا يعرف شيئاً في وزارة التربية ، وكان الوضع الطبيعي أن يكون وزيراً للتعليم العالي ولكن جمال عبد الناصر أبلغه أنه اختار لها لبيب شقير ، وقال للدكتور حلمي انه اختاره بعد أن زكاه هو بالذات في اجتماع مديري الجامعات . وعندما لاحظ عدم ارتياح الدكتور حلمي رأى بذكائه أن يؤثر فيه عن طريق شعوره نحوي وصداقته لي فحوّل مجرى الحديث وسأله عني وكيف أحيا . فانفرجت أسارير الدكتور حلمي وراح يتحدث عني وكان فيما ذكره شعوري نحوه بعرفان الجميل ، وأنه يحميني من رجال المخابرات فقال له عبد الناصر هذا صحيح. وبعد أن قال عبدالناصر ما عنده في هذا المجال وهو ما يؤيد حدسي في المواقف التي تحدثت عنهـــا وعاد جمال عبد الناصر ليقول للدكتور حلمي أن دعوته للوزارة هي تكليف ، ووعد الدكتور حلمي أن يهيء له كل الامكانيات التي تمكنه من العمل ، وأنه اختار له وزارة التربية والتعليم بالذات لأنها هي التي تتناسب مع مكانة الدكتور حلمي . وهكذا خرج الدكتور حلمي من لدن عبد الناصر وزيراً ووجد جمال عبد الناصر لأول مرة في حياته شخصاً يجد صعوبة في أن يجعله وزيراً ، أو بالأحرى

أحد معاونيه . ويظهر أن عبد الناصر كان قد سئم أسلوب الخنوع الذي يتسم به كل من حوله ، وسره أن يكتشف انساناً من نوع جديد لا يخاف منه ولا يطمع في شيء مما تحت يده .

وبدأ الدكتور حلمي عمله في وزارة التربية متجاهلاً كل ما كانت عليه الأحوال ومتصوراً نفسه كما لو كان وزيراً في ظل نظام ديمقراطي أصيل ، وباعتباره وزيراً لا يدين في توليه منصبه إلا لكفاءته والشعب مصدر السلطات ، والعجيب أن جمال عبد الناصر قد راقت له هذه التجربة الجديدة ، ووضع كل ثقله خلف حلمي مراد الذي كان يتصرف تصرفات أفزعتني أنا نفسي ولفت نظر الدكتور إليها فكان يزداد إصراراً على موقفه . من ذلك مثلاً أنه لم يكن يذهب إلى المطار كلما ذهب إليه عبد الناصر لاستقبال رئيس دولة أو توديعه ، متجاهلاً ، أن عبد الناصر كان لا يرى الوزراء إلا في مثل هذه المناسبات ولم يغب ذلك عن ملاحظة عبد الناصر بطبيعة الحال فانتهز فرصة أحد اجتماعات مجلس الوزراء (وكان لأول مرة في حياته بدأ يعقد جلسات دورية لمجلس الوزراء) وقال انه يرجو من السادة الوزراء أن يتواجدوا في المطار عندما يكون موجوداً وعلى الرغم من هذا التنبيه الصريح القاطع من عبد الناصر ، فإن الدكتور

حلمي أصر على أن لا يذهب إلى المطار ، إلا عندما يرى هو أن المناسبة تستحق ، وكان من اللطيف ، أنه رضي عن جمال عبد الناصر في أحد تصرفاته في الفترة الأخيرة ، فذهب إلى المطار ليشعر جمال عبد الناصر برضاه ، وكانت حجة الدكتور حلمي منطقية مع نفسه وظروفه فهو يريد أن يعمل وينتج ، ولو أنه ذهب إلى المطار في كل مرة يذهب فيها عبد الناصر وما يستلزمه ذلك من التواجد قبل عبد الناصر بوقت غير قصير لما بقيت بعد ذلك دقيقة واحدة للعمل .

ولقد أدركت منذ البداية أن جمال عبد الناصر لا يمكن أن يتسامح مع تجاهل تنبيهاته التي اعتاد أن تكون أوامر مقدسة .

لقد كان يكفي أن يهز رأسه لكي يسارع الوزراء لتلبية ما يظنونه إرادته . ولكن جمال عبد الناصر استمرأ هذه الظاهرة الجديدة ، ظاهرة الوزير الذي لا يرتجف منه ، وكأنه أراد أن يقنع نفسه أنه ليس ديكتاتوراً ، وليس مستبداً ، وأن يتخذ من مسلك الدكتور حلمي معه الدليل على ذلك ، بل أنه ذهب إلى أبعد من هذا ، فعندما كان الوزراء يتوقعون أنه سيسرع بالتخلص من الدكتور حلمي فإذا به يفاجئهم بإحاطة الدكتور حلمي بمزيد من التكريم كأن يكلفه بمتابعة أعمال باقي الوزراء فيما يختص بتنفيذ بيان ٣٠ مارس .

وقصة الدكتور حلمي في الوزارة مع عبد الناصر قصة فريدة جديرة بأن تسجل يوماً بعد يوم بل ساعة بساعة ، ليس فقط لاظهار عظمة حلمي مراد ، ولكن لتسجيل مدى التطور الذي طرأ على عبد الناصر ، وأن ثقته بنفسه ، وصواب كل ما يقول أو يفعل مسألة قد أصبح فيها شك ، وأنه قد حلا له أن يجرب أسلوباً جديداً يقوم على وجوب وجود معارضة له وكان يرى في حلمي مراد تجسيداً لهذه المعارضة الرشيدة . ولذلك فقد كان الوزراء يذهلون عندما يجدون الدكتور حلمي مراد يعقب على كل كلمة يقولها عبد الناصر وكان يدهشهم بالأكثر أن يرد عبد الناصر ويناقش ويزيد من مظاهر التكريم للدكتور حلمي وقد تصور بعض الوزراء من زملاء عبد الناصر القدامى أن باستطاعته أن يستفسر ، مجرد استفسار عن أمر من الأمور ، فإذا بعبد الناصر ينتهره كأسوأ ما يكون الانتهار ، وهكذا ظل يختص الدكتور حلمي بهذه المعاملة الخاصة .

على أن أسهم حلمي مراد كانت ترتفع بسرعة عند كافة طوائف الأمة ابتداء بالمنتفعين وانتهاء بالفلاحين ، ووجد عبد الناصر نجماً يتألق بحيث أن الصحف كانت تتسابق لنشر أخبار نشاطه ومشروعاته ، ولم يكن ككل الوزراء يتحدث عن توجيهات الرئيس ، وارشادات الرئيس ،

وعندما كانت تصطدم المصلحة العامة مع ما جرى عليه العمل بتوجيه الرئيس ، كان يغلب المصلحة العامة ، وعندما يلفتون نظره إلى أن هذه تعليمات الرئيس ، يقول لمحدثيه أنه يعرف تعليمات الريس خيراً منهم وإذا كان الرئيس يريد شيئاً فهو ليس بعيداً عنه ، ويضيف دائماً قوله ، أنه لا يسمح لأحد أن يتكلم باسم الرئيس وكان ذلك كله يبلغ جمال عبد الناصر بطبيعة الحال وكان يتصور أن منصب الوزارة لا يلبث أن يطوي حلمي مراد ولكن مرور الأيام لم يكن يزيد حلمي مراد إلا امعاناً في الاستقلال والتفاني في العمل الجاد المخلص الصادق ، وكان رصيده عند الجماهير في ارتفاع مستمر ، إذ رأى الشعب في شخص حلمي مراد وزيراً جديداً يعمل ما وسعه العمل من الصباح المبكر حتى الليل المتأخر لحل مشاكل الموظفين والمواطنين في الوقت الذي تعلن تصرفاته عن تجرده المطلق ، كأن تقدم له بعض الهدايا أثناء زيارة له في البحرين ، فيعلن تنازله للدولة عن هذه الهدايا ، ويرتج الرأي العام لهذه السابقة التي لم يسمع بمثلها ، ويقول رجل له وزنه كالشيخ حسن الباقوري أن حلمي مراد يشبه في سيرته أن يكون عمر بن الخطاب ، ويدرك كل من حول جمال عبد الناصر أن حلمي مراد أصبح خطراً عليهم ، إذ يعريهم أمام الرأي العام ، ويشرعون في بث الأراجيف التي وصلت إلى حد

القول أن حلمي مراد طامع في رئاسة الجمهورية ، ويقول شعراوي جمعة وزير الداخلية في حديث عابر ، أنه قد لا يمضي عام حتىٰ تصبح الوزارة مرادية .

ثم حدث أن استشعر حلمي مراد ما لم يرقه في قرارات المؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي عن وزارة التربية والتعليم ، فقدم استقالته لجمال عبد الناصر ، وفوجىء جمال عبد الناصر بمن يقدم له استقالة ، فقد اعتاد أن يطرد الوزراء لا أن يستقيلوا . ولذلك فقد بذل الكثير ليقنع حلمي مراد بالعدول عن الاستقالة ، ولم يدخر وسعاً في التهوين من شأن أعلى تشكيل في الاتحاد الاشتراكي وأنهم على حد قوله لا يساوون ٣ مليم ، وفي مقابلة جرت بعد ذلك بين الدكتور حلمي وعبد الناصر ، قال له ان أحداً من الوزراء ومن يحسبهم الناس أقطاباً ، لم يدخلوا بيته منذ عدة سنوات بينما الدكتور حلمي قابله في بيته على انفراد أربع مرات في خلال سنة .

وكنت أعجب ما الذي حل بعبد الناصر ، وكنت أرضى عنه كل الرضا لموقفه من حلمي مراد وأشيد به ، ومع ذلك فقد بدأ جمال عبد الناصر يتصور أنني أحرض الدكتور حلمي ضده ، وبدأوا يروجون أن حلمي مراد يفشي لي أسرار مجلس الوزراء ، وأنني أذيعها على محدثي .

وأخيراً ضاق جمال عبد الناصر بذلك كله وانتهز فرصة إدلاء الدكتور حلمي بحديث لمجلة روز اليوسف قال فيه أنه لم ينفذ شيء من بيان ٣٠ مارس.وكان أسوأ ما في الحديث المقدمة التي مهدوا بها للحديث إذ وصفوا حلمي مراد بأنه يجلس في وزارة التربية على الكرسي الذي جلس عليه سعد زغلول زعيم الأمة ، وهذا ما جعلني أتصور أن في الأمر دسيسة لاظهار حلمي مراد بمظهر الطامع في زعامة . وأوقفت الرقابة نشر الحديث وغني عن البيان أنها لم تفعل ذلك الا بأمر من عبد الناصر ولكن حلمي مراد تجاهل ذلك وكتب إلى عبد الناصر مطالباً بنشر الحديث ، ثم زاد على ذلك فتعرض بالنقد لتصرفات وزير العدل التي كانت تتم وفق خطط عبد الناصر ، وانفجر الحاكم الذي اعتاد أن لا يسمح لأحد أن يناقشه فضلا عن أن يحاسبه ويسجل عليه – كما تصور – في خطاب مكتوب فأعلن في جلسة تاريخية أمام جميع الوزراء أنه لم يعد يستطع التعاون مع حلمي مراد ، وسمح للدكتور حلمي أن يرد عليه . وإني أدع للدكتور حلمي أن يروي تفاصيل ما قاله عبد الناصر وما رد به الدكتور حلمي ، والمهم أن جمال عبدالناصر أعفى الدكتور حلمي من منصبه الوزاري .

الفصل التاسع

إصابتي بالمرض ، عطف عبد الناصر ، إشادته بروح مصر الفتاة ، برقية منه قبل موته بثلاثة أيام

أصل الآن إلى المرحلة الأخيرة من علاقتي بعبد الناصر ، فقد أصبت في شهر أكتوبر من عام ١٩٦٩ بجلطة مزدوجة في المخ ، وكان من المتوقع بين ساعة وأخرى أن أموت ولكن لأمر ما لم أمت ، وشاء الله لحكمة لم أعرفها حتى الآن ، أن يبقيني حياً . أظهر جمال عبد الناصر عطفه عليّ ، ففوجئت بأن الاستاذ فتحي رضوان تقدم بطلب لرئاسة الجمهورية لعلاجي على نفقة الدولة وكان أيسر ما يمكن أن يقال ولا لوم في ذلك ولا تثريب ، أن يتقدم الطلب من أحد أفراد الأسرة ، وليكن الدكتور حلمي مراد بالذات ، ولكن جمال عبد الناصر لم يتعالل بشيء من ذلك ، لقد كان من الواضح أنه يريد أن يفعل شيئاً . وقد كان وسافرت

للعلاج إلى لندن على نفقة الدولة وصاحبتني في ذلك زوجتي ، وبرءت بالعلاج في لندن إذ لم يكن فيه جديد وعدت إلى مصر في شهر ابريل من عام ١٩٧٠ على ما أذكر .

وفي شهر سبتمبر من نفس العام فوجئت بالممرضة التي كانت تلازمني في منزلي تدخل علي وتقول لقد جاءك تلغراف ، ممن تظن ؟ ودار في ذهني كل الاحتمالات ، إلا أن تكون البرقية من عبد الناصر ، ولكنها كانت من عبد الناصر رداً على برقية كنت قد بعثت بها إليه في أوائل شهر أغسطس لقبوله ما أسموه وقتها مبادرة روجرز لحل قضية مصر سلماً ، وقد كان جمال عبد الناصر يوم أن بعث بالرد غارقاً حتى الاذقان ، فيما سماها وقتها ضرورة إيقاف نزيف دماء الفلسطينيين ، وقد كان الملك حسين في الأردن قد فتح نيرانه على الفلسطينيين بعامة ، والفدائيين بخاصة لتصفيتهم ، وكان يحتمي باسم عبد الناصر ، وقد كانت هذه أخطر أزمة مرت في حياة عبد الناصر إذ قام حليف له يفعل بالفدائيين ما لم تفعله اسرائيل ودعا عبد الناصر ملوك العرب إلى القاهرة ، فجاء منهم من جاء وتخلف من تخلف ، وشرع عبد الناصر في بذل مجهوده الخارق لايقاف النزيف ، وفي هذا الجو تلقيت برقية عبد الناصر ولم أتصور أنها كانت برقية وداع أراد بها جمال عبد الناصر أن يختم ملف حياته

عندي على أحسن وجه ، كي أظل أذكره بخير إلى أن أغمض عيني ، ولم تمضي ثلاثة أو أربعة أيام على تسلمي البرقية حتى مات عبد الناصر هذه الموتة العجيبة التي لو شاهدها الانسان في إحدى المسرحيات لانتقدها بحجة ما فيها من تكلف واصطناع . وصدق من قال أن الحقيقة دائماً أغرب من الخيال .

وفي مذكراتي التي استأنفت الكتابة فيها عقب وفاة عبد الناصر تفصيل لحادث الوفاة وما أعقبها من حوادث ، والمهم أن صفحة عبد الناصر أقفلت معي على أحسن وجه ، بل انه بعد أن ذهب إلى القبر ، أبى إلا أن يداينني أكثر ، فقد فوجئت بأقوال له قالها في اجتماع للمبعوثين من الطلبة إلى الخارج ، قبل موته بأربعة أشهر وفي كلامه لهم قال أحسن ما يمكن أن يقال عن مصر الفتاة ، وأغلب ظني ، أنه ، وقد أمن جانبي ، وأنني قد انتهيت ، فلا مانع أن يعلي من شأن مصر الفتاة ، وأن يؤكد دورها العميق في شبابه ، وإليك نص ما قال :

سؤال : بعد كده دور الشباب والمبعوثين – ما هو تصور القيادة السياسية لتنشط العمل السياسي وسط جموع الشباب .

السيد الرئيس :

وأنا رأيي بالنسبة للتنظيمات في الحقيقة الالتزام بالقناعة والايمان ومتبقاش العملية كإرث ... والحقيقة ما هو العمل السياسي ؟

أنا كنت سنة ١٩٣٦ أو قبـل ١٩٣٦ بعد سنة ١٩٣٤ انضميت إلى جماعة مصر الفتاة ، والحقيقة انضميت إليها بطريق الصدفة . وأنا كنت ماشي في الاسكندرية في المنشية ، فوجدت معركة بين البوليس وبعض الناس فانضميت بحكم العادة للناس ضد البوليس ومسكوني ، ورحت قسم المنشية ، بعدما دخلت حطونا في الحجز . سألت الناس اللي معايا : إيه الحكاية ؟ فقالوا لي ان جماعة مصر الفتاة كانت عايزة تعمل اجتماع والبوليس منعها بالقوة ، وتاني يوم جه شيخ الحارة وطلعني بالضمان بتاعه ، وطلعت دورت على مصر الفتاة . وجدت مصر الفتاة فيها أحمد حسين وفتحي رضوان وانضميت إليها .

في الحقيقة انضميت وقعدت وشفت . مكنتش لسه اشتغلت بالسياسة وشفت الكلام اللي بيقولوه ويعملوه ، والحقيقة اقتنعت جداً وانضميت إلى مصر الفتاة وجيت هنا كنت ساكن في الظاهر وكانت مصر الفتاة في الساحة فكنت

أعدي مثلا بعد الظهر أروح الساحة وأدخل مصر الفتاة ، ألاقي مثلا الجريدة ، كان عندهم جريدة أو مجلة اسمهـــا الصرخة موجودة في مطبعة الرغائب اللي موجودة وراء سينما رويال مش لاقيين حد يروح يجيبها أو عربية تروح تجيبها . آجي أشيل الجرائد على مرة أو مرتين أو ثلاثة لغاية ما أوديها .

عمل مقتنع به ، وبعدين مش لاقيين ورق بوستة علشان يبعثوا الاشتراكات . أدور على اللي معايا . أعد كل الفلوس اللي معايا وأروح أجيب بها ورق بوستة وبعدين أظرف الجريدة . وبعين ناس كانوا بيعملوا معايا هناك . بهذا الشكل نشيلها . ونروح على العتبة . ونرمي المجلة في الصندوق . وبعدين يبقى معييش ولا مليم . اضطر أروح الظاهر ماشي . يبقى إيه اللي خلاني أعمل كده ؟

واحد مقتنع وبعدين طبعاً طاردونا واتحبسنا في هذه العملية مرات لغاية ما دخلت الكلية الحربية .

(حديث الرئيس جمال عبد الناصر إلى المبعوثين يوم ١٦ — ٥ — ١٩٧٠) .

القسم الثاني

جمال عبد الناصر

في

الميزان

وجملة ما يقال عن الرجل أن له أعمالا عظيمة لا يختلف عليها، وعليه ما يؤخذ عليه فأما ما يقال له ولا يختلف فيه لأنه حقائق مادية .

الفصل الأول

ما يقال لصالح عبد الناصر

أولا : أنه حكم ثمانية عشر عاماً :

وقد يقول قائل وماذا في ذلك فنقول له أن في ذلك الكثير جداً . فهي تدل أولاً على نعمة الله عليه وعلى اقتداره فليس بالقليل أن يظل رجل متربعاً على كرسي السلطة طوال هذه المدة في تاريخ مصر ولا يوجد كثير من الحكام حكموا مثل هذه المدة ، خصوصاً وقد كانت فترة تحول تاريخي مليئة بالأعاصير والزوابع والمؤمرات والدسائس ، من الداخل والخارج ، تدور من حوله . فاستطاعته الحكم هذا الوقت الطويل يشهد له بالمقدرة والحنكة والمرونة التي قدرته على مواجهة كافة المواقف والمشاكل والأشخاص وأن يحظى عند موته بهذا التقدير والاكبار عند أعدائه قبل أصدقائه . فقد رثاه العالم كله عند موته وحضر جنازته أكبر

عدد من رؤساء الدول وممثليهم أما الشعب المصري فقد عاش في مناحة وذهول طوال أسبوع كامل خرج فيه إلى الشوارع نساء ورجالاً وأطفالاً حتى لكأن كل واحد منهم فقد أباه . أما خصومه القلائل في مصر ممن جردهم من أملاكهم أو أودعهم السجون أو شردهم . فقد امتلأوا خوفاً مما قد يحل بهم بعد موته . فقد كان رحمه الله إنساناً يستعمل مبضع الجراح بالقدر اللازم فقط لازالة الخطر عليه . فإذا أزال الخطر لم يحاول أن يتشفى أو يواصل انتقامه . فالذين أخرجهم من الحكم من زملائه لا يزالون أحياء يتمتعون بمرتباتهم وامتيازاتهم حتى الآن ، والذين قضت الظروف بسجنهم يحيون حياة رغدة في السجن ، والذين أعدمهم من الاخوان المسلمين يعطي آلهم وذويهم المعاشات والمعونات ، والذين صادر أملاكهم يسمح لهم بالحياة الطيبة الكريمة بقدر الامكان . فلا عجب أن شعر هؤلاء جميعاً بالخوف عند موته لئلا يحرموا من ذلك كله .

وهكذا انتفع الرجل بحكمه الطويل أحسن انتفاع . فعندما أقول أن الرجل قد حكم ثمانية عشر عاماً فهذه تعد آية قدرته وعظمته التي لا يمكن أن يختلف عليها إثنان .

ثانياً — بناء السد العالي :

استطاع الرجل أن يصمم على بناء السد العالي وأن ينفذ

عزمه وهو عمل جبار لولا الاتحاد السوفييتي لما أقيم . ولكن إرادة عبد الناصر كانت وراء ذلك كله . ولم تظهر كل فوائد السد المرتقبة حتى كتابة هذه السطور . ولكن الذي لا شك فيه أن الأجيال المقبلة سوف تبارك عمله لهذا السد الذي لولاه هو شخصياً وقوة إرادته وعزمه وتصميمه لما قام السد .

ثالثاً – تفجير طاقة الجماهير المصرية والعربية وطموحها :

مسألة تذكر لعبد الناصر من غير شك هو أنه أزال كل العقبات والسدود أمام جماهير الشعب أفراداً وجماعات فأصبح كل فرد من أفراد الشعب مهما كان صغيراً أو فقيراً لا يجد حائلاً يحول بينه وبين الوصول إلى آخر ما يصل إليه طموحه وقدرته وأصبح أصغر عامل وأصغر فلاح يقال له بالليل والنهار أن مصر تحكم به ولأجله ومن أجله فشعر جميع الكادحين بكرامتهم وعزتهم التي فقدوها وحرموا منها أجيالاً وقروناً .

وإذا كان طموح العرب للنهوض والتوحد في دولة واحدة مسألة قديمة قبل عبد الناصر ولكن الذي لا شك فيه أنه نجح في جعلها حلم الجماهير وليست مجرد أماني بعض القادة والزعماء .

رابعاً – بعض ظواهر جديدة في الحياة المصرية :

أختتم الآن هذه الملاحظات بتسجيل بعض الظواهر عشت في شبابي أتمناها ثم رأيتها تتحقق في عهد عبد الناصر .

الألعاب الرياضية بالجملة :

منذ زرت تشيكوسلوفاكيا في شبابي البكر ورأيت الاستعراضات الرياضية يقوم بها ألوف من الشبان في حضرة عشرات الألوف من الجمهور وأنا أتوق لرؤية ذلك في مصر وقد تحقق هذا أيام عبد الناصر . فبنى الاستاد العظيم الذي يتسع لمائة ألف متفرج ورأيت الشباب بالألوف يقومون بالاستعراضات العظيمة التي كنت أتمناها . وقد كان هذا من أروع ما فتنني من الانجازات في عهد عبد الناصر .

جنود المظلات :

كان مما بهرني طوال حياتي العامة سلاح المظلات حيث يقذف الجنود أنفسهم من الطائرات ليصلوا إلى الأرض بمظلاتهم . كنت أعتبر ذلك قمة الشجاعة والمخاطرة ولقد عشت لأرى في أيام عبد الناصر جنود المظلات من شباب مصر بل لقد وصل الأمر إلى حد أن أرونا بعض الفتيات يقمن بهذا العمل . صحيح أن ذلك كله لم ينفع عندما جد

الجد ودهمتنا اسرائيل ولكن ذلك لا يمكن بحال أن يكون ذنب عبد الناصر وحده .

مصانع الصلب الجبـــارة :

كان من أحلامي كذلك أن تقوم بمصر صناعة الحديد والصلب بكل جبروتها وقد دعوت إلى ذلك وقامت مصانع صغيرة بالفعل في أبي زعبل وفي الاسكندرية ولكنها كانت تقتصر على صناعة الصلب من الحديد الخردة ولكن في عهد عبد الناصر تحقق ما كنت أحلم به وأنشئت مصانع الصلب الضخمة التي تعتمد على الحديد الخام المصري الذي يؤخذ من محاجره في أسوان والوادي الجديد . حقاً قد يقال ان إنشاء مصانع الحديد والصلب جاء نتيجة التطور الطبيعي فالهند مثلاً أنشأت خمسة مجمعات بمساعدة الاتحاد السوفييتي وينتج أحد هذه المجمعات خمسة ملايين طن في العام في حين سيكون إنتاج مجمع مصر بعد تمام إنشائه مليوناً فقط وقد دار ويدور جدل كبير حول صواب إنشاء هذا المجمع ولكنني لا أستطيع الا أن أرحب بتحقيق أحلامي .

وصول المرأة إلى الوزارة :

حرص جمال عبد الناصر وهو ما يذكر له بالحمد والثناء أن يقوم بأعمال بقصد الدعاية كأن يقال أنه محرر المرأة مع أن الكفاح من أجل تحرير المرأة كان قد بدأ قبل أن

يولد جمال عبد الناصر واحتلت المرأة مناصب كبرى في الدولة ولكن عبد الناصر استخدم سلطانه المطلق في تعيين امرأة في الوزارة لتدوي أبواق الدعاية في العالم بأنه محرر المرأة المصرية فاختار سيدة لتكون وزيرة للشؤون الاجتماعية. وكعادته لم يختر لهذا المنصب إحدى السيدات المناضلات بل اختار سيدة لا تعرف حتى الآن كيف وقع الاختيار عليها ، كل الذي كان يهم عبد الناصر أن يقال أنه جعل إحدى السيدات وزيرة . واللطيف أنه بعد أن أدت السيدة مهمتها في تمكين أجهزة الدعاية للنفخ في الأبواق أخرجها جمال عبد الناصر من الوزارة ولم يعين بدلاً منها حتى مات . وكذلك فعل بالنسبة للعمال حيث اختار واحداً منهم وزيراً ثم أخرجه من الوزارة ولم يعين عاملاً آخر بدلاً عنه ، فقد كانت الدعاية قد استوفت .

فرقة الباليـــه :

من الأعمال التي قد تبدو صغيرة ولكنها تمت في عهد عبد الناصر بمساعدة الاتحاد السوفييتي إنشاء معهد لرقص الباليه وفرقة للباليه وهو شيء لم يكن يرد على خواطرنا قبل عبد الناصر . ومن الطريف الذي يدل على مدى التطور في هذه الناحية أن أخي تزوج من سيدة تحتل منصباً محترماً في الدولة ولها أخت من أعضاء فرقة الباليه وهي في نفس الوقت

طالبة في كلية الحقوق وأطرف من ذلك كله أن والدها أحد العمال الذي وصل إلى مركز قيادي وهو أن يكون عضواً في مجلس النواب وفي اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي . وهذا من غير شك يمثل صورة من صور التطور الجديرة بالتسجيل في عهد عبد الناصر .

الهجرة من مصر :

نصل الآن إلى ظاهرة جديدة لم نسمع بها قبل أيام عبد الناصر وهي ظاهرة طيبة أياً كانت الأسباب التي أدت إليها . فقد عاش المصريون طول عمرهم أو لكي أكون دقيقاً في التعبير عاشوا طوال المدة التي عشتها حتى الآن وقدرها ستين سنة لا يفكرون في الانتقال من مسقط رؤوسهم إذا استطاعوا لذلك سبيلاً ولولا أن التعليم العالي ابتداءً بالأزهر كان في القاهرة لما نزح مصري واحد إليها . أما الخروج من مصر إلى الأقطار المجاورة العربية فضلاً عن البعيدة كان شيئاً لا يرد على خاطر أي مصري ، حقاً تغيرت هذه الصورة قليلاً قبل عبد الناصر عندما كان المصريون يعملون في سفارات مصر في الخارج أو على صورة موظفين معارين كمدرسين أو غير ذلك ولكن فكرة الهجرة لم ترد على خاطر أي مصري . أما في عهد عبد الناصر فقد أصبحت الهجرة إلى الخارج من أعز أماني الشباب وبدأنا

نسمع عن أسر بأكملها قد هاجرت إلى الخارج ووصل الأمر إلى حد أن خافت البلاد العربية من هذه الهجرة فأغلقت أبوابها في وجه المصريين فاتجهوا صوب البلاد الأوروبية والامريكية وخاصة كندا واستراليا والولايات المتحدة الامريكية . وأعرف سيدة هي زوجة أحد اخواني كانت تذرف بالدموع إذا تأخر ابنها في الخارج بضع ساعات قد رضيت بسماح نية وبطيب خاطر أن يهاجر أولادها الثلاثة إلى كندا وأن تعيش وحيدة مع زوجها بعيدة عن أبنائها وليس ذلك إلا نموذجاً لعشرات الألوف من الحالات . وقد فتح عبد الناصر باب الهجرة في أخريات أيامه فأقبل الناس عليها في شغف ولهفة ولست أريد أن أبحث الأسباب التي أدت إلى هذا الانقلاب وحسبي أن أسجل هذه الظاهرة التي طالما تمنيتها . فقد كان يحز في نفسي أن أرى جميع الشعوب العربية بل والافريقية تملأ أرجاء العالم فيما خلا الشعب المصري ، وأخيراً تحقق ذلك في عهد عبد الناصر .

* * *

خامساً ــ أعمال نتيجة التطور الطبيعي :

وهناك بعد ذلك عديداً من الأعمال التي تنسب إلى عبد الناصر وأنه خالفها مع أنها في الحقيقة ممتدة الجذور إلى ما قبل عبد الناصر وهو نفسه ثمرة هذه الجهود . فإذا كان له

فضل فيها فهو فضل التنفيذ وهو آية التوفيق والحظ الذي أوتيه أن جاء في فترة تحول تاريخي مكنته من فعل ما فعل ومما كان يستحيل فعله قبل ذلك فنصيبه منها نصيب محدود الحظ والله يعطي من يشاء بغير حساب . وفي مقدمة هذه الأعمال :

خلـــع الملك :

فأما أول هذه الأعمال فهو خلع الملك وفضل جمال في هذه الحركة أنه كان الرجل الذي هز الشجرة النخرة والتي كانت توشك أن تسقط فأسقطها هو . لقد كان كل إنسان في مصر قد ضج من فضائح فاروق ومخازيه وكانت سمعته في الدنيا كلها قد ساءت وكان الانجليز أنفسهم يرغبون في التخلص منه ، وآية انقلاب الشعب كله ضد فاروق انني كنت أكتب مقالا ضده في الجريدة الاشتراكية (مصر الفتاة) التي لم تَعْدُ أن تكون وريقة صغيرة بالنسبة لغيرها من الصحف فيوزع منها ستين ألفاً ثلاث مرات في الأسبوع وكلما قبض علي بتهمة العيب في الذات الملكية أفرج عني القضاء. ثم كان حريق القاهرة الذي لم يكن من تدبير فاروق فقد حدث نتيجة طيشه ورعونته وهكذا كان كل ذي عينيين يتنبأ أن نهاية فاروق وشيكة ولم يكن يحمي فاروق إلا الجيش وكان الجيش كبقية المصريين قد ضاق ذرعاً

بفاروق ، وهنا لعب جمال عبد الناصر لعبته باقتدار داخل الجيش حتى استطاع أن يجند رجلا لامعاً محبوباً من كل صفوف الجيش وهو اللواء محمد نجيب وأن يجعله واجهة الحركة في الوقت الذي انزوى فيه ممسكاً بالخيوط وراء الظل بحيث لم يعرف إلا بعد مضي بضعة أشهر من قيام الثورة أنه العقل المدبر خلف هذه الحركة وأنه هو الارادة المحركة .

المهم أن العمل الأكبر الذي قام به مع الجماعة كلها وبجهود الجماعة بل بجهود كل من سبقوه ويمكن القول أنه نجح في اقتطاف الثمرة .

إجلاء الانجليز :

ننتقل بعد ذلك إلى ما يقال عن إجلائه الانجليز عن مصر ، وهنا يأتي ما أشرت إليه من حظ عبد الناصر . فقد كان الزمان قد تحول وكانت نوعية الاحتفاظ بالسيطرة على الشعوب الصغيرة وكانت انجلترا قد خرجت من الحرب العالمية الثانية مقصوصة الجناح وليس أدل على ذلك من أنها تخلت عن الهند ومنحتهــا الاستقلال عام ١٩٤٦ والهند هي الهند كانوا يطلقون عليها ألمع جوهرة في التاج البريطاني وقد احتلت انجلترا مصر باعتبارها الطريق إلى الهند فأصبح بقاء انجلترا في مصر بعد تحرر الهند غير ذي موضوع . واعتادت انجلترا أن تحافظ على مكانتها في مصر بعشرة

آلاف جندي على الأكثر فانتهى بها الأمر للاحتفاظ بمائة ألف وهو ما كانت تنوء به انجلترا ولذلك فقد كانت أشد لهفة من المصريين على الجلاء عن مصر وأظهرت استعدادها الدائم للجلاء عن مصر ولكن كان تمسك مصر بالوحدة مع السودان يحول دون نجاح أي مفاوضات إذ لم تكن هناك حكومة مصرية تجرؤ على شراء الجلاء عن مصر مقابل فصم عرى الوحدة بين مصر والسودان . فلما أن جاء جمال عبد الناصر وكانت لديه الشجاعة أن يتنازل عن ضرورة وحدة وادي النيل وأن يدع للسودانيين حق تقرير المصير بما في ذلك الاستقلال عن مصر ولم تعد هناك عقبة ضد الجلاء خصوصاً وقد تعهد عبد الناصر بالاحتفاظ بالقاعدة البريطانية على قناة السويس في حالة تأهب مستمر وحق انجلترا في العودة إليها في حالة قيام الحرب – ويقول إيدن في مذكراته أن انجلترا كانت في لهفة للعثور على سياسي مصري يمكنها من الجلاء عن مصر فوجدت ذلك في عبد الناصر ، فهو هنا الرجل مجدود الحظ الذي وافق ظهوره في السلطة تطور الاحوال في العالم واقتناع الدول الكبرى أن النفوذ الحقيقي ليس هو الذي يستمد من الاحتلال العسكري ولكن من الروابط الاقتصادية والمعنوية وخاصة بعد أن قضى تطور الطيران على المسافات فأصبح من الممكن

نقل جيوش بكل معداتها من مشرق الدنيا إلى مغربها في بضع ساعات .

وليس أدل على أن الجلاء عن مصر أصبح ضرورة انجليزية أن انجلترا قد جلت عن كل مستعمراتها في آسيا وأفريقيا ومن هذه المستعمرات من لم يرفع صوته مرة واحدة بطلب هذا الجلاء . وقد سبقت فرنسا انجلترا في هذا السبيل فأجرت استفتاء في كل مستعمراتها هل يريد السكان فرنسا أم لا فحيث قال السكان « لا » خرجت فرنسا بدون حرب أو قتال أو ثورات من أي نوع كان . وهكذا تقف اليوم شعوب آسيا وأفريقيا متمتعة بالاستقلال ومن بينها شعوب بدائية لم تكن تحلم بالاستقلال وجلاء جيوش انجلترا أو فرنسا عن أراضيها . فليس صحيحاً أن جمال عبد الناصر أجلى الانجليز عن مصر وإنما الصحيح أن يقال أن الانجليز جلوا عن مصر في عهد عبد الناصر . وهو هنا مجدود الحظ الذي لازمه طول حياته إلى أن تخلى عنه في أخريات حياته ، فكان هذا الذي كان . على أن نجاح المفاوضات مع الانجليز ما كان لينجح لولا واقعيته وشجاعته التي جعلته يقبل ما لم يكن يقبله في مصر سياسي آخر وهو قبول مبدأ إمكان فصل السودان عن مصر . وقد كاد في ذلك يساير روح العصر في حق كل شعب في تقرير مصيره . هذا عن موضوع

الجلاء الأول عام ١٩٥٦ وننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الجلاء الثاني الذي أعقب العدوان الثلاثي .

تأميم قناة السويس :

لا شك أن من أعظم الأعمال التي قام بها عبد الناصر في وقتها وكانت كافية لتخلد ذكر الرجل بين من قاموا لمصر بأجل الأعمال هو تأميم شركة قناة السويس وقد كنت في وقتها من أكبر المفتونين بالرجل . ونزلت من بيتي في منتصف الليل لأبعث إليه ببرقية تهنئة فراعني ساعتئذ أن أرى مكتب التلغراف مكتظاً بالجمهور الذي جاء لنفس الغرض وأذكر أنني بدأت استأنف الكتابة في مذكراتي توقعاً للأحداث الجسام التي توقعت أنها وشيكة الوقوع .

إن تأميم شركة قناة السويس كان يمكن أن يكون من أعظم أعمال الرجل لولا أن الأعمال تقاس بنتائجها . وقد مات الرجل وليست هناك قناة السويس تقريباً . فقد مضى على إغلاقها أكثر من خمس سنوات وكادت تردم ، واعتاد العالم على عدم وجود قناة السويس وبدأ يرتب أموره على عدم وجودها . ولذلك فإنه من السذاجة التحدث عن تأميم قناة السويس في هذا الوقت فمن يدرينا لو لم تؤمم قناة السويس أكانت اسرائيل احتلت ضفتها الشرقية وحالت دون إعادة فتحها هذه المدة ؟

هذا هو نموذج للأعمال التي قام بها عبد الناصر فلاقت في وقتها تأييداً كبيراً ثم وقع بعد ذلك من الأحداث التي ألقت الظل على هذا العمل .

ولنتحدث الآن عن العدوان الثلاثي الذي أعقب تأميم قناة السويس والذي قيل عنه أن جمال عبد الناصر نجح في رده عن مصر والحقيقة أن روح العصر هي التي أفشلت هذا العدوان ولكن من سعد عبد الناصر في ذلك الزمان أنه استفاد منه وبعد قليل نسب إليه فكانت سلسلة المغامرات والتحديات التي دفعت مصر ثمنها حرماناً وفقراً وتخلفاً في الوقت الذي كان يكسب لشخصه الشهرة ونظرة الشعوب المتخلفة إليه نظرتهم إلى أحد أبطال السينما الشجعان .

وخروج عبد الناصر من العدوان الثلاثي منتصراً هو نموذج صارخ لهذا الذي قلناه من أن حسن حظ جمال عبد الناصر يتجلى أعظم ما يتجلى في أنه جاء في فترة تحول تاريخي .

فقد أخطأت انجلترا وفرنسا عندما قررتا الهجوم على مصر عام ١٩٥٦ ان الزمن قد تغير وأصبح يكره مثل هذه المغامرات وليس أدل على ذلك من أن الفريق الأكبر من شعب الدولتين كان ضد هذا العمل وقد حقق العدوان أهدافه العسكرية فاحتلت اسرائيل شبه جزيرة سيناء ونزل

الانجليز والفرنسيون في بور سعيد وإذا كانوا وقفوا عند هذا الحد فلأن الرأي العالمي ممثلاً في مجلس الأمن وقف في وجه هذا العدوان وكان على رأس المستنكرين أمريكا وروسيا .

وكان مجهود عبد الناصر هو خطاب ألقاه في جامع الأزهر قال فيه أننا سنحارب ونقاتل من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت وهو كلام ككل الكلام الذي غرقنا فيه ثمانية عشر عاماً والذي عندما وضع لأول مرة موضع التجربة عام ١٩٦٧ كانت النتيجة مخيبة للآمال بل مجلبة للخزي والعار . وكيفما كان الأمر فقد نجح جمال عبد الناصر عام ١٩٥٦ من دحر العدوان الثلاثي وسواء كان ذلك بجهد جمال عبد الناصر أو نتيجة التطور العالمي فقد نسب إليه وهذا هو الشأن في كل نجاح أو فشل يحدث في التاريخ وكان يمكن أن يكون النجاح هنا كالنجاح في تأميم قناة السويس من أعظم ما يسجل لجمال عبد الناصر لولا أنه لم يمت إلا ومصر محتلة باسرائيل بعد هزيمة عسكرية منكرة لم يسبق لها مثيل في التاريخ . ولما كانت الأعمال تقاس بخواتمها فلسنا نستطيع أن نسجل هذا الجلاء الثلاثي عن أرض مصر كعمل عظيم من أعمال عبد الناصر وإن كان هو قد تصور أن ذلك من عمله فكان هذا الذي كان من هزائم والذي كان

من نعمة الله عليه أن أخرجه من هذا المأزق الذي أوقع فيه مصر والعرب بالموت ، مخلفاً من بعده حل المشاكل المعقدة المدوخة . وإن كنا على كل حال لا نستطيع أن ندع موضوع الاعتداء الثلاثي دون أن نسجل له الشجاعة وقوة الأعصاب التي تحلى بها إلى أن واتاه النصر .

تصنيع مصر :

أصل الآن إلى ما روج له كثيراً في حياته وهو أنه عمل على تصنيع مصر أي إنشاء الصناعات ، والحقيقة أن جمال عبد الناصر يساير التطور الطبيعي لهذه المسألة طوال ثمانية عشر عاماً كافية لعمل المعجزات . فقد بدأت مصر نهضتها الصناعية منذ عصر مبكر جداً قبل عبد الناصر فقد أنشأ طلعت حرب أول مصنع للنسيج والغزل في المحلة الكبرى عام ١٩٢٦ وقد دعوت أنا شخصياً إلى تصنيع مصر عام ١٩٣١ وأقمت مشروع القرش لهذا الغرض وبالفعل أنشىء مصنع غزل الصوف وعمل الطرابيش عام ١٩٣٢ وبعد ذلك توالى إنشاء المصانع في مصر وبعد الحرب العالمية الثانية دعوت إلى إنشاء مصانع الصلب والفولاذ وبالفعل أنشأت عدة مصانع صغيرة لهذا الغرض . وقد كان من العجيب أن يوقف عبد الناصر هذه المسيرة في أول حكمه إذ كان واقعاً

تحت النفوذ الامريكي مما سأعود للتعرض اه وقد كان من حسن حظ جمال عبد الناصر وتلك قضية لا شك فيها وهي أنه كان سعيد الحظ أن العصر كان في عهده قد تطور واشتغلت الدول الكبرى الصناعية بما هو أهم من الصناعات العادية وأصبحت كلها شديدة اللهفة على أن تصدر المصانع بما في ذلك الغرب والشرق على السواء وهكذا لم يجد عبد الناصر صعوبة في الحصول على ما حصل عليه من مصانع وعلى رأسها مصانع الحديد والصلب من الاتحاد السوفييتي ، فليس صحيحاً أن جمال عبد الناصر خلق النهضة الصناعية ولكن الحق يقال أنه تابعها بعد أن أصبحت الدولة بحكم اشتراكيتها هي المسؤولة عن الانتاج والتخطيط واستفاد من تطور الظروف الذى جعل أصغر البلاد وأقلها شأناً تصبح قادرة على ابتياع المصانع من أوروبا وإنشائها كما هو شأن كل الدول الافريقية البسيطة فكيف بمصر بلد الحضارة منذ خمسة آلاف سنة والتي اشتغلت بالصناعة الحديثة منذ أيام محمد علي ثم توقفت لتستأنف من جديد على يد طلعت حرب أولا ثم على يد الرأسماليين من أجانب ووطنيين .

الوحدة العربية :

أما القول بأنه صانع الوحدة العربية أو باعثها أو مجددها ،

فقد حددت من قبل حقيقة دوره وهو أنه ناشر فكرة القومية العربية في جماهير الشعب العربي . فالوحدة العربية قامت من أجلها ثورة الملك حسين ضد تركيا في الحرب العالمية الأولى وعقدت من أجلها معاهدة حسين مكماهون ولم ينقطع الجهاد في سبيلها يوماً واحداً وعقب الحرب العالمية الثانية كانت انجلترا ، وايدن بالذات ، هو الذي اقترح على العرب إنشاء الجامعة العربية وقد أنشأت الجامعة العربية بالفعل في الأربعينات . قد يقال أن عبد الناصر هو الذي أشرك مصر في التيار العربي . والحقيقة أن الشعب المصري يفضل دائماً الوحدة الاسلامية وقد أدى واجبه دائماً نحو العرب باسم الاسلام لا باسم العنصرية العربية وهو نفس شعوره اليوم بعد ثمانية عشر عاماً من الحديث عن العروبة وليس أدل على ذلك أن عبد الناصر لم يأت بجديد في هذا السبيل أنه قد بدأ تنظيمه السري وهو يقاتل باسم مصر من أجل فلسطين ، وإذا كان فاروق قد خلع عن عرشه فقد كان ذلك بسبب هزيمة مصر في فلسطين وما قيل يومئذ عن أسلحة فاسدة وردت للجيش المصري بواسطة عملاء الملك . المهم أن اشتغال مصر بالقضايا العربية سابق على عبدالناصر بأجيال. واجتماعات القمة كانت تتم أيام فاروق ، الذي صلى في أحد الأيام بملوك العرب ورؤسائهم المجتمعين

في القاهرة إماماً . وكانت القاهرة ملجأ المجاهدين من العرب الفارين من وجه الاستعمار فالتجأ إليها أمين الحسيني زعيم فلسطين في ذلك الزمان على الرغم من أنه كان عدو الانجليز رقم واحد وكان للانجليز مائة ألف جندي في مصر ، والتجأ إليها متحدياً فرنسا الأمير محمد عبد الكريم زعيم مراكش وكانت فرنسا تنقله من منفاه في المحيط الهندي إلى فرنسا ولم تكد الباخرة الفرنسية تمر عبر قناة السويس حتى كانت مصر تختطف الأمير عبد الكريم [1] وكانت أزمة حادة ولكن مصر صمدت وانتصرت . . وقفت مصر وقفة تاريخية إلى جوار سوريا ولبنان حتى أخذتا استقلالهما من فرنسا قبل مصر نفسها وليس ذلك إلا مجرد إشارات وقد كان برنامج مصر الفتاة الذي وضعناه عام ١٩٣٣ يقول لكل مصري :

« وغايتك أن تصبح مصر فوق الجميع دولة شامخة تتألف من مصر والسودان وتحالف الدول العربية وتتزعم الاسلام » .

وفي سنة ١٩٤٦ طفت باسم مصر الفتاة في فلسطين

---

١ — كان للمجاهد الكبير محمد علي الطاهر اليد الطولى في انقاذ الامير عبد الكريم .

وسوريا ولبنان داعياً لتأليف الولايات العربية المتحدة فالقول بأن عبد الناصر بعث القومية العربية هو جهل بتاريخ النهضة العربية . حقاً لقد استفاد من تطور الزمن وانتشار وسائل الاعلام ونستطيع أن نقول في غير تجن على الرجل أنه من هذه الناحية قد ترك فلسطين أسوأ حالاً مما كانت عليه قبل حكمه مما سنذكره فيما بعد وأنه ترك علاقة مصر بالعالم العربي أسوأ مما كانت قبل وجوده فقد مات والمصري مضطهد في كل البلاد العربية ابتداء من السعودية والعراق وانتهاء بتونس والجزائر حتى البلدين اللتين أعلنتا تقارباً سياسياً مع مصر وهما ليبيا والسودان فإن شعبيهما كره المصريين وقاطعهم واضطهدهم .

وقد تقدمت سوريا للوحدة مع مصر نتيجة الجهود السابقة على عبد الناصر وليس أدل على ذلك من أن الذين تقدموا بطلب الوحدة هم شكري القوتلي وصبري العسلي فكافأهم على ذلك بجزاء سنمار وجعل الشعب السوري الذي كان أشد العرب دعوة للوحدة يكفر بهما ويفصم عراها ويسلم نفسه لحزب السفاحين وهو حزب البعث — وهكذا خلق عبد الناصر فكرة الوحدة العربية أسوأ مما كانت عليه قبل وجوده . حتى لقد وصل الأمر إلى حد أن الحزب

الواحد الذي يعتبر الوحدة العربية ديناً فوق دين الاسلام يحكم في العراق وسوريا ولم يحدث أن تنافرت الدولتان كما تتنافران الآن . أما الأردن فهو عميل أمريكا الرسمي وأمريكا هي من يحارب العرب جهاراً نهاراً بتأييد اسرائيل وقد مات عبد الناصر كمداً وهو يشهد الملك حسين ملك الأردن يقتل الفلسطينيين شيوخاً ونساء وأطفالاً بل ويدك عاصمة ملكه دكاً ونعني بها عمان ليهدمها فوق رأس من فيها من الفلسطينيين . فالقول بأن عبد الناصر هو بطل القومية العربية هو قول فيه نظر . وكل ما فعله في هذا السبيل هو أنه حاول أن يلغي اسم مصر بل وأن ينسيه للناس وأن يسمي الجمهورية العربية المتحدة وهو نموذج للعمل بالكلمات والألفاظ .

الحرب اليمنية :

وأحسب أن نقطة التحول في مشاعر الأمة العربية تجاه مصر كان نتيجة لتدخل عبد الناصر بالجيش المصري في اليمن . لقد أرضى هذا التدخل بعض العناصر وأغضب عدداً أكبر وستظل حرب مصر في اليمن أعظم مسألة من أعمال عبدالناصر يدور حولها الخلاف إلى أبد الآبدين. وقد كنت أنا من أشد المستنكرين لهذه الحملة وخاصة عندما كان يصلني ما يفعله سلاح طيراننا ومدفعيتنا بالقبائل

الملكية وتحوي مذكراتي التعليق على هذه الحملة في كل أدوارها . ولقد رفضت رفضاً باتاً وما زلت أرفض إدخال اليمن دائرة التحضير والتقدم كما يقولون عن طريق القتل . ولطالما قلت أن هذه الدعوى هي دعوى أوروبا عندما أقدمت على استعمار أفريقيا وآسيا بدعوى تمدينها وادخال الحضارة إليها . لقد جعل عبد الناصر مصر وجيشها يقوم بهذا العمل في اليمن ولن أقف طويلاً عند الأموال الطائلة التي أنفقها عبد الناصر على هذه المغامرة وكان من الممكن أن تستخدم لخير مصر والمصريين بل لخدمة اليمنيين أنفسهم بدعوتهم إلى مصر وتعليمهم إن لم يمكن فتح مدارس لهم في اليمن . وإنما السؤال الذي سيظل التاريخ يسأله دون أن يجد له جواباً ، هل كانت إسرائيل تجرؤ على فعل ما فعلت لو لم يكن حادث تورطنا في اليمن ؟

لقد أدرك عبد الناصر خطأه في هذه الفعلة بعد فوات الأوان فأسرع بسحب الجيش المصري من هناك بعد أن وقعت الواقعة.واليوم تصالح اليمنيون جمهوريون وملكيون على حساب مقاطعة مصر . ولعله من نوادر القدر أن مبعوث حكومة اليمن للعزاء في وفاة عبد الناصر كان هو أحمد الشامي نائب الامام السابق ، ومن جهة أخرى لا يستطيع

المؤرخ المحايد أن يتساءل هل كانت اليمن تخرج من الظلام الذي كانت تعيش فيه وتنفتح على العالم كما هو شأنها اليوم لولا هذه الحملة ؟ هذه الحملة اليمنية من قتل فيها من أبرياء هي آية ما كان يعيش فيه عبد الناصر من تناقض بين الأقوال والأفعال فحيث كان لا يكف عن ترديد أن السلاح العربي يجب ألا يوجه إلى صدر العربي كانت جيوشه تدك سقف البيوت والخيام على رأس من فيها من شيوخ ونساء وأطفال يمنيين بحجة أنهم ملكيون من أعداء الجمهورية .

وهو موقف عانى من مثله عبد الناصر ولعله هو السبب في موته عندما شرع الملك حسين في تصفية الفدائيين الفلسطينيين بحجة أن بينهم عملاء .

والآن فلننتقل إلى أعمال عبد الناصر الذي لا تختلف أي مصري وطني في أنها كانت خطأً محضاً وأدت إلى تخلف مصر، رغم كل الضجيج الذي كان يؤكد أن مصر قد شهدت من الرقي ما لم تكن تحلم به ، وأن مستوى الشعب المصري قد وصل إلى أعلى مستوى يمكن أن يصل إليه أو إلى أعلى مستوى كان يمكن أن يصل إليه بغير عبد الناصر .

الفصل الثاني

ما يقال ضد عبد الناصر

إن النتائج التي انتهى إليها حكم عبد الناصر لايمكن أن توصف إلا بأنها شر كلها وسيذكر في التاريخ أن هذه الكوارث تمت على يديه وبسببه وأولى هذه الكوارث :

احتلال اليهود لشبه جزيرة سيناء واغلاق قناة السويس :

لأول مرة في التاريخ يحتل اليهود شبه جزيرة سيناء ويغلقون قناة السويس بعد احتلال ضفتها الشرقية وتدمير مدن القناة وعلى الأخص مدينة السويس والاسماعيلية وتشريد أهلهما الذين يعيشون مهاجرين في مختلف مدن مصر وقراها . وقد حدث ذلك بعد هزيمة عسكرية لم يسمع التاريخ بمثلها وترجع شناعة هذه الهزيمة لا لأنها تمت في بضع ساعات ، وليس لأن اسرائيل تمكنت من هزيمة

ثلاث دول عربية ولكن شناعة الهزيمة والتي تجعلها فريدة في التاريخ هو ما سبقها طوال خمسة عشر عاماً من الطبل والزمر وأن جيش مصر لم يعد فقط قادراً على دك اسرائيل في بضع ساعات بل على التصدي للولايات المتحدة الأمريكية نفسها إذا هي حاولت أن تقف بيننا وبين تدمير اسرائيل . وحدثونا عن الطائرات النفاثة التي أصبحت تصنع في مصر والصواريخ التي جعلتنا الولايات المتحدة نفسها . وتتضمن مذكراتي على تعليق يومي بل ساعة بساعة على أنباء هذه الكارثة التي أكرر أن التاريخ لم يشهد لها مثيلاً . لقد اعتاد عبد الناصر أن يتحدث عن هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية وهزيمة انجلترا وهزيمة الاتحاد السوفييتي في بداية الحرب العالمية الثانية وهو نوع من المغالطة التي نجح فيها وجر الشعوب العربية على تصديقه والاقتناع به والرضاء لأنها لا تريد أن تحارب ، وتريد أن تقنع بترديد الأغاني والأناشيد بينما يقول عبد الناصر لها كما قال لها طوال الثمانية عشر عاماً التي حكمها أنه يستعد للبطش باسرائيل والله يعلم وهو يعلم أنه لن يفعل ذلك — وقد استطاع أن يخدر الشعب المصري ثلاثة أعوام فلما انتهى به الأمر إلى الشعور بعجزه وطابق ذلك يقظة ضمير بعد أن حدث ما حدث في الأردن تخلص عبد الناصر من المشكلة بالموت أو

بالأحرى خلصه الله منها بالموت ، وهو مثل آخر من أمثلة حسن الحظ الذي صاحب عبد الناصر طول حياته ويجب أن يسجل له لأن الحظ لا يلاحق الخاملين .

أما نوع المغالطة في تشبيه لما حصل لمصر بما حصل لفرنسا في الحرب العالمية الثانية — فهو أن الذي هزم فرنسا هو أكبر قوة عسكرية عرفها التاريخ وهو ألمانيا النازية ، وألمانيا هي ألمانيا ومع ذلك فقد انبعثت قوة المقاومة الفرنسية حتى انتهت بدحر ألمانيا . أما في مصر فقد كان حرص عبد الناصر أن يخدر الشعب ويغرقه في الأغاني والمأكولات .

لقد ادعى عبد الناصر بعد ثلاث سنوات ونصف من الكارثة أن الجيش المصري قد أصبح يزيد على النصف مليون مدججين بأحدث الأسلحة وعلى استعداد للقتال ولكن هذا الجيش العرمرم ركز مهمته في الدفاع عن الضفة الغربية للقناة التي كانت مفتوحة أمام اسرائيل وقت حدوث الكارثة فلم تفكر لحظة واحدة في احتلالها لأن اسرائيل لم تكن تحلم في المنام أنها ستصل إلى الضفة الشرقية وليس في قدرة اسرائيل التي لا يتجاوز عدد سكانها مليونين أن تحتل مصر . فهي غير قادرة على احتلالها بل هي لا تفكر في احتلالها ريثما تفرغ من ازدراد اللقمة الكبيرة التي وقعت

في يدها على غير انتظار . فكل حديث عن الصمود هو من الأحاديث التي برع فيها عبد الناصر وشاد عظمته الشخصية عليها ولنا الحقيقة المؤكدة التي لا ينتطح فيها عنزان وهي أنه ترك مصر واليهود يحتلون شبه جزيرة سيناء ويغلقون قناة السويس بعد أن دمروا مـدن مصر الواقعـة عليها وشردوا سكانها .

القدس يهوديـة :

ومما يتصل بالعرب والمسلمين من هذه الكارثة التي تمت على يد عبد الناصر وبسببه أن القدس منذ أن استردها صلاح الدين من الصليبيين قد سقطت بلا قتال في يد اليهود . وهكذا تجلل العالم الاسلامي كله بالعار عندما سقطت أولى القبلتين في يد اليهود وانتهت سيطرة المسلمين عليها إلى الأبد – لأنه إذا تصورنا أن العالم المسيحي قد يرفض أن تكون القدس يهودية فهو لن يعيدها بحال من الأحوال عربية أي اسلامية إلا إذا انبثق من ضمير المجهول ما لا يستطيع التنبؤ به الآن . وهكذا سيسجل التاريخ الاسلامي لعبد الناصر أن في عهده وعلى يديه وبسبب سياسته وألاعيبه سقطت القدس العربية الاسلامية لتصبح يهودية أو على أحسن الظروف دولية .

ديون مصر للاتحاد السوفييتي :

مسألة أخرى خلفها عبد الناصر لشعب مصر والله وحده يعلم ماذا ستكون نتائجها وهي ربط مصر بعجلة الاتحاد السوفييتي سياسياً واقتصادياً وعسكرياً . وقد كانت حجة عبد الناصر أن أمريكا وقفت منّا موقف العداء بينما تقول أمريكا ان فتح مصر للاتحاد السوفييتي هو السبب في تغيير أمريكا لسياستها . فقد ظلت أمريكا إلى ما قبل العدوان تمد مصر بما قيمته ستين مليون جنيه استرليني من القمح وهو الأمر الذي مكن مصر من المضي في إنشاء ما أنشأت من مشروعات .

المهم أن مصر مدينة للاتحاد السوفييتي بما لا يقل عن ألف مليون جنيه بينما سمعت من يقدر هذه الديون بأربعة آلاف مليون جنيه ولقد فقدت مصر في الأمس القريب (منتصف القرن الماضي) استقلالها لدين لم يتجاوز مائة مليون جنيه . وعشنا طول عمرنا نندد بالخديويين سعيد باشا واسماعيل باشا لأنهما فتحا باب الاستدانة ، مع أن اسماعيل بالرغم من سفهه واسرافه في ملذاته وشهواته حسب روح ذلك العشر ، فقد أتم إنشاء قناة السويس وأضاف إلى رقعة مصر الزراعية ما يقرب من مليوني فدان بما استتبع ذلك من إنشاء ألوف الكيلومترات من الترع وخطوط السكك

الحديدية والتلغراف بالاضافة إلى عديد من المباني الفخمة التي ظلت مصر تستعملها قرابة مائة سنة منذ وفاة اسماعيل ، كالأوبرا ودار الكتب ودور الآثار ، ولكن ذلك كله لم يشفع لاسماعيل وعشنا طول عمرنا نندد به .

وحقاً لقد تغيرت الظروف ولن يكون الدين سبباً لاحتلال الاتحاد السوفييتي مصر ، فهو في غنى عن هذا الاحتلال ، ولكن الأمر المؤكد أن مصر منذ الآن ستظل تدور في فلك الاتحاد السوفييتي ، بعد أن أصبحت تعتمد عليه أشد الاعتماد في سائر نواحي حياتها . حتى أن الروس هم تقريباً الذين يحاربون عن مصر ضد السلاح الجوي الاسرائيلي ، فهم الذين يتصدون بالطائرات والصواريخ لطائرات اسرائيل المغيرة وهذه مسألة سنكشف أبعادها ونتائجها الوخيمة في مقبل الأيام ، ولكن الذي لا يختلف فيه اثنان أن هذا التطور قد أفقد مصر مرة ثانية استقلالها الكامل . وأصبح إلزاماً عليها أن تتبع المشورة الروسية في سائر تصرفاتها الكبرى كما حدث عقب وفاة عبد الناصر بالذات ، حيث أرسلت روسيا وفداً ضخماً تحت رئاسة رئيس وزرائها ولم يبارح ذلك الوفد القاهرة إلا بعد أن تم الاتفاق على الخطوط العريضة لتنظيم الحكم بعد غياب عبد الناصر في ظروف مشبوهة .

إفساد المرافق العامة والقطاع العام :

ومن أحد الآثار التي خلفها حكم عبد الناصر والتي لم يحس بها غير المصريين افساد المرافق العامة التي كانت أحد مفاخر مصر في القديم . فالمواصلات وعلى رأسها السكك الحديدية قد أصبحت في حالة يرثى لها بعد أن كانت السكك الحديدية المصرية مضرب الأمثال في دقة سيرها في نظر العالم كله وكان القطار ينطلق ويصل في ميعاده بالدقيقة والثانية ذهاباً وإياباً بحيث كان السائق لا يحاكم فقط إذا تأخر دقيقة بل كان يحقق معه كذلك إذا وصل قبل موعده بدقيقة فأصبح الاستثناء النادر الآن أن يصل قطار في موعده وإذا تأخر فهو لا يتأخر بالدقائق بل بالساعات . هذا إن وصل . فقد أصبحت حوادث القطارات التي لم نسمع بمثلها أبداً قبل عبد الناصر ، أصبحت من الأمور العادية ويقولون أن حوادث التصادم بعضها ببعض من الأمور العادية كذلك . ويضربون المثل بما يحدث في أوروبا ناسين أن السكك الحديدية في أوروبا تخترق الجبال والأنفاق وتسير أحياناً بل أكثر الأحيان في الظلام الذي يحدثه الضباب الكثيف .

وهذا الذي حدث في السكك الحديدية بالانتقال من

الدقة والأمان إلى الفوضى والاستهتار قد حدث مثله في مرفق البريد ، فبعد أن كان أي خطاب يصل إلى المرسل إلى المرسل إليه في اليوم التالي أصبح يستغرق الأيام الطوال هذا إذا وصل على الاطلاق ، فعشرات الألوف من الخطابات أصبحت تضيع ويتبجح المسؤولون فيقولون ان نسبة الخطابات الضائعة لا تتجاوز نصف في الألف وينسون مع ذلك أن هذا النصف في الألف يعني عشرات الألوف . ومثل ذلك يحدث في التلغرافات التي تصل أحياناً بعد فوات المقصود منها ، أما المواصلات داخل القاهرة فقد أصبحت قطعة من العذاب يعانيها القاهريون ؛ ولا يوجد في العالم سوى الشعب المصري من يحتمل مثل هذا العذاب ويسكت عليه . ومن المواصلات إلى بقية الخدمات كالكهرباء والمياه والتليفونات والمجاري ، وقبل ذلك وبعد ذلك أزمة الاسكان والمستشفيات التي أصبحت في حالة يرثى لها .

أما التعليم الذين طبلوا وزمروا عليه فقد أصبح مجرد أداة للدعاية وليس للتعليم . فطلاب المرحلة الأولى بعد ست سنوات ليس فيهم من يقرأ أو يكتب إلا الموهوب الذي لو لم يدخل مدرسة على الاطلاق لعلم نفسه ، وحسبنا أن نقول أنه بعد ثمانية عشر عاماً من حكم عبد الناصر فإن الأمية في مصر تناهز ٨٠ بالمئة إن لم يكن أكثر . وما زلت

أذكر أن حكومة سعد زغلول التي تألفت عام ١٩٢٤ وضعت برنامجاً على ما أذكر يقضي على الأمية خلال عشر سنوات فرحنا نسخر بها ونهزأ .

وما حدث من التدهور في قطاع الخدمات حدث ما هو أشر منه في دوائر الحكومة والقطاع العام حيث لا يكاد يؤدي موظف عمله إلا إذا قبض ثمن ذلك من الجمهور حتى أصبحت الرشوة هي الأساس لانجاز أي عمل . وقديماً كانت الرشوة تعطى للموظف ليقوم بعمل غير مستقيم أما في عهد عبد الناصر فقد أصبحت الرشوة تدفع لانجاز الأعمال المشروعة التي هي من أخص وظيفة الموظف الذي يتقاضى راتبه من أجلها . حقاً ان ارتفاع الأسعار ارتفاعاً فاحشاً حيث أصبح كيلو اللحم يباع أحياناً بما يقرب من الجنيه، ولكن الذي حدث أيام عبدالناصر أن الناس أصيبت بسعر وأصبح أصغر موظف لا بد أن يكون في بيته تليفزيون . ولعبد الناصر بالذات مسؤولية كبرى لوصول الموظفين إلى هذه الحالة . فعلى الرغم من أنه هو شخصياً كان مستقيماً أو بالأحرى جعلته السلطة المطلقة وحكمه المطلق مشغولا بالليل والنهار ، ولذلك فإن حياته الخاصة مرت وانقضت بغير هنات ، فقد كان متسامحاً مع كل من حوله بل لعله كان يشترط فيمن حوله أن يكونوا

متورطين في الفساد حتى يسهل عليه تسخيرهم لخدمته والتعلق به فأغلبية من كانوا حول عبد الناصر استغلوا نفوذهم وتورطوا في أقبح الأعمال وكان عبد الناصر يحصي عليهم ذلك دون أن يؤاخذهم ما داموا مخلصين لشخصه ولكن يكفي أن يتفوه أي منهم بكلمة لا تعجبه أي تخدش اعتبار عبدالناصر لكي ينكل بهويحاسبه على أعماله الأخرى ، أما إذا ظل الرجل على ولائه فلا خوف عليه ولا هم يحزنون وليسرق ما حلا له أن يسرق وليعربد ما حلا له أن يعربد ما دام يحرق البخور لعبد الناصر ، فكانت هذه هي الروح التي سرت في أرجاء الحكومة والقطاع العام وهي أن هناك واجباً واحداً يسأل عنه الجميع بدون استثناء وهو الولاء لعبد الناصر وما عدا ذلك فأمره هين تماماً كما نطالع في القرآن « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . وهو ما عاش عبد الناصر يفعله طوال حياته وليس أدل على ذلك من أن عبد الحكيم عامر المسؤول عن فساد الجيش وهزيمة مصر المنكرة في عام ١٩٦٧ لم يتأثر مركزه في قليل أو كثير فلما حاول أن يجدف في حق عبد الناصر انتهى إلى هذه النهاية المعروفة ، وهي الانتحار .

وهكذا ترك عبد الناصر الحكومة والقطاع العام في حالة تهلهل ويحاول خلفاؤه ترميم ذلك وانقاذ ما يمكن إنقاذه فليكن الله في عونهم .

تحويل البلاد العربية إلى بحر من الشعارات والدم :

وأصل أخيرا إلى أثر عبد الناصر في البلاد العربية التي تحولت إلى بحر من الأقوال والأغاني وسفاك الدماء بغير حساب باسم التقدم والقضاء على الرجعية ونشر الحرية .

قبل عبدالناصر كان سجن انسان واحد بغير حق يثير أزمات وقد يسقط حكومات وقد حكمت انجلترا مصر حكماً مباشرا لمدة خمسين سنة أخطأت خلالها مرة واحدة في دنشواي حيث شنقت خمسة فلاحين فرفع كرومر الذي الذي كان يحكم مصر وقتها مركزه ثمناً لذلك ، وظلت مصر أو بالأحرى الشعب المصري يندد بهذه الفعلة ويلطخ بها سمعة بريطانيا إلى أن مات عبد الناصر . هذا هو الحال في مصر وفي سائر البلاد العربية قبل عبد الناصر أما أثناء حكم عبد الناصر فقد أصبح من أيسر الأشياء أن نسمع عن اعدام العشرات والمئات بالجملة بحجة أنهم جواسيس أو عملاء للأجنبي أو أعداء للتقدم.ورغم أن عبد الناصر شخصياً لم يكن محباً لسفاك الدماء معرفة منه بطبيعة الشعب المصري الذي يكره العنف بطبيعته ولا يقع منه للحاكم أياً كان شأنه ما يكدر هذا الحاكم،فهو شعب مطواع لين العريكة أحسن تشبيه له على مر العصور : أنه كالبقرة الحلوب

تفيض بخيراتها على من يقتنيها دون أن تفكر في إيذائه بأي حال من الأحوال . ولكن عبد الناصر وخاصة في بداية حكمه لم يكن يكف عن التهديد والوعيد . وسرعان ما حول المغامرون في البلاد العربية أقواله إلى أعمال فاستولوا على الحكم في بلادهم وأغرقوها في طوفان من الدم والأعمال الوحشية . وكانت العراق وسوريا مسرحاً لهذه الأعمال البربرية ثم تبعتها بقية الأقطار العربية قطرا بعد قطر وكان من أيسر الأعمال على رجل كالنميري قائد ثورة السودان كما يقولون أن يقصف بالطائرات والقنابل عشرين ألفاً [١] من الأنصار احتشدوا في جزيرة أبا ،وأن يفنيهم عن آخرهم بهذا الأسلوب العجيب ثم لا يعتبر ذلك إلا أنه مجرد حادث صغير عابر من أجل التقدم لا يجب الوقوف أمامه طويلا وقد شاء الملك حسين ملك الأردن أن يفعل مثل ذلك فقتل عشرين ألفاً [١] من الفلسطينيين باسم الوطنية والقومية العربية والقضاء على المخربين وقد كان هذا هو السبب المباشر لموت عبد الناصر بالسكتة القلبية كما قدمت فقد راعه أن تصل الأمور إلى هذا الحد . فقد كانت هذه الأمور ترتكب باسمه حيث كان الملك حسين لا يفتأ في كل أحاديثه أن يقول :

---

(١) هذه الارقام مبالغ فيها بطبيعة الحال ، ولكنها الأرقام التي كانت تنشرها الصحف المصرية .

أناوأخي جمال عبد الناصر قد اتفقنا على كذا وكيت. والمهم أن تاريخ البلاد العربية طوال حكم عبد الناصر أصبح سلسلة من المجازر التي يشيب لهولها الانسان وقد أخذت السعودية نصيبها من هذه المهرجانات فأعدمت في يوم عيد بضع عشرات من المنكودين. أما العراق فقد أصبحت هذه تسلية الحكام اليومية. وفي سوريا البائسة حاول التجار التعساء أن يمارسوا حقهم في الاضراب وهو الحق الذي مارسوه طول حياتهم فإذا بالحزب الحاكم بكل بساطة يحطم أبواب الدكاكين ويسلمها للنهب وفي أحد المرات ظن الشعب في دمشق أنه قادر على الاجتماع في المسجد الأموي للاحتجاج فإذا بالحزب الحاكم بكل بساطة يقتحم المسجد ويقتل بالدبابات والرشاشات العديد من الجماهير العزلاء . المهم أن ذلك كله أصبح يتم في بساطة باسم الوحدة والحرية والاشتراكية وهو أحد الشعارات التي أطلقها عبد الناصر ولم يكن الأمر يكلف الآمر بالمذبحة إلا أن يذيع حديثاً في الراديو يتحدث عن الرجعية وأعداء الشعب الذين يريدون أن يوقفوا مسيرته إلى غير ذلك من الأقوال والشعارات التي التي غرقنا فيها خلال ثمانية عشر عاماً .

وشهد شاهد من أهله :

إن أخوف ما أخافه أن يظن ظان أنني أتجنى على عبد الناصر في هذه الصورة التي أرسمها للعالم العربي كما خلفه عبدالناصر، ولذلك فإنني أنقل هنا ما كتبه محمد حسنين هيكل في جريدة الأهرام في مقاله الأسبوعي الصادر يوم الجمعة ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٧٠ والذي صدر بعد أن كتبت ما كتبت . قال هيكل وهو الذي كان صديق عبد الناصر الأول ومستشاره الأكبر وكاتب كتب عبد الناصر ومواثيقه وبياناته وخطبه ، قال هيكل بالحرف الواحد : « إن الصورة العامة على أرض الأمة العربية ليست كما ينبغي أن تكون عليه وأبسط ما يقال في وصفها أنها غير مريحة».وهذا تعبير شديد التحفظ جم الأدب في وصف ما يجري الآن ويكفي أن نجيل نظرات سريعة ندور بها حولنا لكي نجد شواهد هذا الوصف المبالغ في تحفظه وأدبه .

في الأردن : صدام بين السلطة والمقاومة وليس يعنيني في هذا البحث تحديد المسؤول وإنما يعنيني **وجود الصدام .**

وفي سوريا : صراع بين أجنحة تنتمي إلى حزب واحد وليس يعنيني أي الأجنحة أكثر صواباً وإنما يعنيني **وجود الصراع .**

وفي العراق : تصفيات تجري في صمت ولكن بقع الدم

المسفوح فيها تلعلع وليس يعنيني من يصفي من ؟ وإنما يعنيني **وجود التصفيات** .

والمغرب العربي كله : من تونس إلى الجزائر إلى المغرب كل غارق في شواغله وليس يعنيني أي الشواغل معقول وأيها غير معقول وإنما يعنيني وجود الشواغل ، والمشرق العربي كله وراء خط المواجهة ، وإلى الجنوب البعيد حتى الخليج العربي والمحيط الهندي يتفرج من بعيد ويحذر أن يتورط وليس يعنيني صواب ذلك من وجهة نظر أصحابه أو خطؤه وإنما يعنيني موقف المتفرج من بعيد .

ومضى هيكل في مقاله يتحدث عن مأساة العرب وتفتتهم وتفككهم حتى وصل الأمر إلى حد أن امتنعوا عن التصويت على قرار في هيئة الأمم لصالح العرب حيث صوت على القرار ٧ دول عربية وامتنع عن التصويت سبع دول مما أحدث فضيحة في الأمم المتحدة حتى بلغ الأمر بمندوب الهند أن يقول (والنص الآتي كما ذكره هيكل في روايته) .

قال مندوب الهند وهو يهز رأسه أسفاً : كنا نأخذ في حسابنا دائماً اعتبار الوحدة العربية . والآن علينا أن نأخذ في حسابنا اعتبار الفرقة العربية (التمزق العربي) .

ومضى هيكل يتحدث عن الارتباك الذي أحدثه العرب لأصدقائهم في الأمم المتحدة بتخاذلهم لأول مرة وتفككهم .

واللطيف أن هذا قد حدث باسم الرغبة في القتال مع اسرائيل مع أنهم لم يقاتلوا ولن يقاتلوا ولكنهم يتعاملون بالعملة التي صكها عبد الناصر للعالم العربي وهو الكلام والاسراف في الكلام الذي لا يكلف شيئاً ومع ذلك فهو يصنع البطولات .

والخلاصـــة :

ونخلص من العرض الذي قدمناه ما قلته في بدء ذلك التمهيد من أن عبد الناصر عاش حياته كحاكم مطلق بالطول والعرض وأنه أدى دوره التاريخي في حياة مصر والعرب بالسلب والايجاب بالأعمال الطيبة وغير الطيبة التي يقع فيها كل حاكم مطلق . والذي لا شك فيه ولا يختلف في أمره إثنان أنه كان حاكماً قوياً مقتدراً استطاع دائماً أن يتغلب على الصدمات التي واجهته وأن يخرج منها دائماً وقد أنقذ نفسه ولم يفقد ثقة الجماهير فيه ، وقد أصيب في حكمه الطويل بصدمتين من أقصى الصدمات أولهما انحلال عرى الوحدة بين مصر وسوريا أما الصدمة الثانية فيوم أن سحقت اسرائيل قوة مصر العسكرية في بضع ساعات ولكنه استطاع أن يتغلب على كلتا الصدمتين وأن يصبح بعد قليل أشد قوة مما كان . فهو سيعد دائماً واحدا من حكام مصر الكبار الذين عرفتهم في تاريخها الطويل ولعله مما يسعدني أنا

شخصياً أن هذا الحاكم العملاق كان أحد من بدؤوا حياتهم العامة بتلقى تعاليـم مصر الفتاة وأن صيحتي المبكرة « المجد لمصر » ظلت هي هدفه وشعاره طول حياته بعد أن اعتبر نفسه هو مصر فعمل حتى آخر لحظة من حياته أن يكون المجد لعبد الناصر وكانت تساوي في اعتقادي المجد لمصر .
وفي كل المرات التي التقيت به فيها كان يحرص على أن يذكرني بهذه الحقيقة وكان لا يفتأ يكررها كلما جاءت مناسبة التحدث عن شبابه وان كان كل من حوله حرص على إخفاء هذه الحقيقة .

خاتِمَة

وهكذا

وهكذا شاءت إرادة الله أن يموت جمال عبد الناصر وهو في أوج قوته ونشاطه ، وأن أبقى أنا العاجز المشاول حياً من بعده لأكتب هذه السطور ، وقد مضى على وفاته قرابة ستة شهور ، ولست أجد حرفاً واحداً أغيره مما كتبت ، في مقدمة هذا الكتاب فقد خلف جمال عبد الناصر لمن بعده تركة مثقلة وقد أصبحت مصر في حالة عجز تام عن الحرب وتستجدي مصر اسرائيل وأمريكا للوصول إلى حل سلمي ، ولكن أمريكا تأبى إلا أن تمرغ أنف مصر في التراب لأنها إذ تفعل ذلك فهي تمرغ أنف الاتحاد السوفييتي الذي أصبح يتخذ من مصر قاعدة له ، وبالتالي أصبح مسؤولا عنها وإني أسأل الله عز وجل ، أن يقبضني إليه ،

قبل أن أرى الشيوعيين ، يتحكمون تماماً في مصر ، لقد كان ذلك أحد المشاكل التي أفزعت عبد الناصر ، فكانت أحد أسباب موته وإذا كان ولا بد أن أختم هذا الكتاب بكلمة عن عبد الناصر ، **فهو أنه يمثل ظاهرة تكررت في تاريخ مصر الفرعوني** ، وهو أن يتولى عرشها فرعون يكون بمثابة فترة انتقال بين خلاص مصر من نفوذ أجنبي ، لتقع في نفوذ أجنبي آخر ، وكل الدلائل تشير إلى أن مصر صائرة إلى الفلك الروسي ، والمستقبل مشحون بالأخطار والكوارث ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، رحمك الله يا عبد الناصر ، لقد كنت ديكتاتوراً ولا يمكن أن ينتهي حكم ديكتاتوري ، إلا بالنكبات والكوارث .

الروضة — الأحد ٢١ مارس ١٩٧١

تم والحمد لله

تعقيب

في شهر فبراير سنة ١٩٧٣ ذلك ما كتبته منذ عامين وقد كنت أظن وقتها أنني لن أظل على قيد الحياة لأكمل الكتاب ولعل القارىء يتبين السرعة والعجلة التي كتب بها الكتاب فقد كنت شديد اللهفة على أن أفرغ من الكتاب قبل أن أموت ولكن الأعمار بيد الله فما زلت أحيا رغم عجزي وشللي . وها أنا أعيد نظري في الكتاب فوجدتني بعد هذه الملاحظة التي قدمتها من أن الكتاب كتب بسرعة جدا وفيما عدا ذلك فكل ما جاء به من الحقائق التي لا أستطيع أن أغير فيها أو أبدل ، ولكن بعد انقضاء عامين ونيف على وفاة عبد الناصر فقد أصبحت مكانته التي سيأخذها في التاريخ أكثر وضوحاً وتحديداً . أما في مصر فسيظل أمره محل اختلاف شأنه شأن محمد علي فحيث يسجل التاريخ عظمته والمكانة العظيمة التي رفع إليها مصر فإن الانسانيين (الجبرتي المعاصر ومحمد عبده من اللاحقين) قد نددوا بتصرفاته

باعتباره عمل لمجده الشخصي بأكثر مما عمل لسعادة أمته .
غير أن الطابع الأغلب على التاريخ هو تمجيد محمد علي
وخاصة بعد زوال المؤثر المؤقت وهو حرص الثورة منذ
جاءت على الغض من مكانته ودوره الخطير المجيد في بناء
مصر الحديثة .

ذلك سيكون شأن عبد الناصر في مصر . إن المصريين في
الوقت الحاضر لا يذكرونه بخير ؛ إذ يعانون الكثير من آثار
حكمه ، وكل المآخذ التي أخذتها عليه قد قالها خليفته أنور
السادات بطريق مباشر أو غير مباشر فمن الطريق المباشر
ما أسماه ثورة التصحيح التي قام بها في مايو سنة ١٩٧١ .
حيث قبض على ممن كانوا يعتبرون أنفسهم أبناء عبد الناصر
وعلى رأسهم شعراوي جمعه وسامي شرف . وبالجملة علي
صبري وغيرهم وأودعهم السجون وندد بأسلوب الحكم
الذي كانت تحكم به البلاد من ارهاب وتعذيب وتجسس
حتى لقد حضر بنفسه حفلا أقيم في وزارة الداخلية لحرق
شرائط التسجيل للتجسس وفي رأيي أنه حضر شخصياً
ليتأكد من حرق شرائط كانت خاصة به والمهم أن أنور
السادات كان على استعداد أن يمضي حتى النهاية في النيل
من حكم عبد الناصر لولا حرصه الشديد على الابقاء على
صلات طيبة مع معمر القذافي رئيس ليبيا مما سأعود للتحدث

عنه عند التعرض لمكانة عبد الناصر العظيمة عند الشعوب العربية .

قدمت أن الرئيس أنور السادات ينال من حكم عبد الناصر بالطريق المباشر وغير المباشر . وإذا كان المباشر هو ما نوهت به سابقاً فإن غير المباشر هو وصفه عهده بأنه عهد سيادة القانون والديمقراطيةوممارستها وعهد الحرية ،وحرصه على أن يرجع للقضاء مكانته وأن يغلق المعتقلات ويصفي الحراسات وكل هذه اجراءات تحسب لأنور السادات في رصيده .

المبالغة في وصف مصر بالتخلف :

على أن الناحية الثانية التي ينال بها أنور السادات من الحكم السابق هو أنه لا يدع فرصة تمر إلا ويتحدث عن هذا الشيء أو ذاك الذي تأخرت مصر في علاجه عشرين سنة كاملة وفي خطاب ألقاه أمام مجلس الشعب أخيرا بأن مصر تعاني أزمات حادة في المواصلات بأنواعها من سكك حديدية وتلفونات وطرق كما تعاني أزمة مساكن ومجاري لأنها توقفت عشرين سنة عن العمل في هذه النواحي ، وهو لايدخر وسعاً في وصف مصر بالتخلف في عهد العلم بالنسبة لما يجري في العالم من ثورة في التكنولوجيا .

محطة المفتري :

وأنا بحكم مرضي لا أختلط بجماهير الشعب ومع ذلك فكل من يقابلني يحدثني عن أفراد الشعب وكيف أنهم لا يذكرون جمال عبدالناصر بخير ،ولعل هذا يتجلى في تسمية محطة الاتوبيس الخاصة بمسجد جمال عبد الناصر محطة المفتري حيث ينادي (الكمساري) بأعلى صوته عن محطة المفتري،وعلى الرغم من أن الجميع أكدوا لي ذلك فإن الخبر لشناعته غير قابل للتصديق ، على كل حال فإن خروج المعتقلين وانبثاثهم وسط الناس وحكاياتهم التي يشيب لها الولدان عن صنوف التعذيب التي عانوها ، كل ذلك بالاضافة إلى ما يعانيه الشعب من صعوبات ومشقات في حياته اليومية والمهانة التي أصبحت تجري في دمه وهو يرى اليهود يحتلون بلاده ويطردون مئات الألوف من سكان مدن القناة من مساكنهم ، وهو يرى أبناءه من خريجي الجامعات يحتويهم الجيش عاماً بعد عام ، ومصر تنفق ألف مليون جنيه كل سنة على الجيش حيث تمضي الأعوام تلو الأعوام دون أن يبدو لهذا الظلام نهاية .

من الطبيعي أن يحدث ذلك أثره في ذكرى عبد الناصر ولما كان عبد الناصر لم يعد يخيف أحدا فمن المتصور أن يجاهر الكثيرون في إظهار بغضهم لعبد الناصر على أن هذا

الجيل الذي قاسى على يد عبد الناصر بصورة أو بأخرى لا يلبث أن يزول بعد عشرين سنة أو ثلاثين على الأكثر ولا يبقى إلا الحديث عن عبد الناصر أنه هو الذي ألغى الملكية وأعلن الجمهورية وأخرج الانجليز وألغى الاقطاع وأعلى من شأن العامل والفلاح وأن الكارثة التي انتهى إليها حكمه جاءت نتيجة تآمر قوى الشر ضده وهي قوى الاستعمار والصهيونية تلك هي نظرة التاريخ لعبد الناصر ، ولسنا في حاجة للتنبؤ أو الخوف من الخطأ في الحكم فهذه هي نظرة العالم العربي بل والأفريقي والشيوعي لعبد الناصر .

العالم العربي وعبد الناصر :

والعالم العربي إذ يقوّم عبد الناصر هذا التقويم فإنما يرشدنا إلى حكم التاريخ ، فحيث لم يتأثر الناس شخصياً بقسوة حكم عبد الناصر فهم لا يرون منه إلا الجانب المشرق وأشهد أن العالم العربي والافريقي والشيوعي لم يشهد من عبد الناصر إلا خيراً ، سخر كل امكانيات مصر وحرم شعبها من الكثير والكثير جدا لخدمة القضايا العربية ، فمما لا شك فيه أنه بذل الكثير حتى نجحت ثورة الجزائر وثورة اليمن بشقيه الشمالي والجنوبي ، كما لم يبخل على الكونغو ونيجريا ليس فقط بالمال والسلاح بل وبالرجال ، أما بالنسبة للشيوعية فحسبه أن كان هو الذي فتح العالم العربي لروسيا وكان قبل ذلك مغلقاً في وجهها ، والمهم أن عبدالناصر

سوف يذهب في التاريخ كأعظم من أنجبت مصر ، ونحن الذين عايشناه وقاسينا من حكمه سواء رضينا أو كرهنا مضطرين أن نسلم بهذه الحقيقة ونحن نرى العالم كله يقررها ، الأعداء قبل الأصدقاء ، ومن هنا فهو سيبقى دائماً من أعظم معالم تاريخ مصر .

فضل أنور السادات :

وقبل أن أطوي صفحات هذا الكتاب لا مناص من تسجيل فضل لأنور السادات خليفة عبد الناصر فعقب وفاة عبد الناصر كنا جميعاً في أشد حالات التشاؤم من مستقبل مصر وكان أخوف ما نخافه أن يكون أمرها قد قضي نهائياً باعتبارها قد وقعت تماماً تحت سلطان روسيا ، ولكن حمداً لله أنني أكتب هذه السطور بعد انقضاء ما يقرب من ثلاث سنوات على وفاة عبد الناصر وقد نجح أنور السادات في ابعاد هذا الخطر عن مصر وبدأ بالناحية العسكرية ثم ثنى بالناحية الثقافية .

والمهم أن الخطر الروسي الحال الذي كان يلوح في مارس ١٩٧١ لم يعد كذلك الآن في فبراير سنة ١٩٧٣ . وهو فضل يسجل لأنور السادات ويرتد إلى جمال عبد الناصر باعتباره قد اختاره لخلافته .

والحمد لله رب العالمين

الروضة ١٢ – ٢ – ١٩٧٣ .

الفهرس

القسم الثاني

القسم الثاني